قافلة الزيت

شوال ١٣٩٦ سبتمبر/اكتوبر ١٩٧٦









لوحة من الفن التشكيلي عرضت في معرض الصناعات الوطنية بالدمام في جمادى الأولى ١٣٩٦.

تصوير: شيخ أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد العاشر   المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
" توزع مجانا "
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

التعليق على صورة الغلاف

نسخة من القرآن الكريم عرضت في المتحف البريطاني في لندن اثناء مهرجان العالم الاسلامي .

تصوير : بيتر كس

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



عيد مبارك

أعزائي الموظفين

انه لمن بواعث البهجة والسرور أن أغتنم فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة أرامكو ولأفراد عائلاتهم أحر التهاني وأجمل التمنيات، أعاده الله عليهم باليمن والبركات، وكل عام وأنتم بخير.

ف. جنقرز

رئيس مجلس ادارة شركة أرامكو

يسر هيئة التحرير أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى جلالة الملك خالد المعظم وولي عهده الكريم وحكومته الرشيدة وإلى المسلمين كافة وإلى القراء الأعزاء أخلص التهاني وأزكى الأماني ضارعة إلى المولى عز وجل أن يعيدها إلى أمثال هذه المناسبة السعيدة باليمن والسعادة والرخاء.

وكل عام وأنتم بخير

هيئة التحرير

الأدب المقارن والأدب الاسلامي

بقلم: الدكتور عمر الطيب الساسي

الأدب المقارن علم استقل حديثاً في اطار الدراسات الأدبية الاكاديمية . ويرجع الفضل في استقلال هذا العلم لجهود المدرسة الفرنسية في القرن التاسع عشر الميلادي ، والتي كان من أشهر أعلامها : سانت بوف ، وتين ، وبرونتيير ، وباول فان ، وجويار وغيرهم . وكانت المدرسة الالمانية لا تقل حماساً عن الفرنسية في دراسات الادب المقارن ، لولا انها تقهقرت فيما بعد متأثرة بموجة التعصب التي انتهت بفاجعة الحرب العالمية الثانية . ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الامريكية ، التي دفعت ببحوث الأدب المقارن إلى أشواط متقدمة جداً . . ولعله من المناسب ان نذكر ان من اهم أسباب تحمس رجالات الأدب المقارن رغبتهم في القضاء على التعصب القومي « الشوفيني » الذي أمتد بأثره على الأدب ، فجعل بعض علمائه يرفضون الاعتراف بأي أثر أجنبي في الأدب الفرنسي ، وخصوصاً اثر الأدب الايطالي وفضله ، مما يتنافى مع الحقيقة التي اثبتها فيما بعد علماء الأدب المقارن بالادلة القاطعة .

لعله أصبح الآن واضحاً أن هذا العلم الذي يهتم بالمقارنة بين الآداب العالمية في لغاتها المختلفة ، على أساس من تقصي الحقائق التاريخية ، وبنظرة تحليلية متعمقة ، تكشف عن نتائج الاتصال بين الآداب ، من أجل الوقوف على مظاهر التأثر والتأثير المتبادلة بينها ، يسهم في العثور على أسس مشتركة لأدب عالمي ، ينتمي للانسانية كلها ، بمختلف لغاتها وثقافاتها .

وليس ما يتم من مقارنات في اطار لغة واحدة كالمقارنة بين طه حسين والعقاد ، او ابي العلاء المعري وطه حسين مثلاً ، يعد من دراسات الأدب المقارن ، لأن مثل هذه الدراسات تدخل في دائرة اختصاص مؤرخ ودارس الأدب المحلي او القومي . أما الأدب المقارن فان الباحث فيه يهتم بمعرفة العلاقات التاريخية بين آداب لغات مختلفة .

ولا يقبل الفرض أو التخمين أساساً لدراسات الأدب المقارن لأن هذه الدراسة يجب أن تقوم على اثبات وجود علاقات تاريخية ، نتج عنها تزاوج بين آداب مختلفة ، كان الاخصاب من أهم آثاره .

ان دراسة كهذه ، لو تمت بجدية وعلى أسس منهجية واضحة ، فانها يمكن ان تسهم ، ولا شك ، في اشاعة المحبة والسلام بين شعوب الأرض المختلفة ، وذلك باقناعها بادلة قاطعة لا تقبل الجدل ، بأن الأدب شأنه شأن مظاهر الحضارة الانسانية الأخرى ، شركة كبرى بين بني البشر ، أسهمت وتسهم كل أمة من أمم الأرض في إنمائها وتوسيع نطاقها . كما يمكن لهذه الدراسة ، إن تمت على أسس منهجية منظمة واضحة ، ان تسهم في توسيع دائرة المعارف الموسوعية ، على المستويين : المحلي ، والعالمي .

من هنا تظهر أهمية دراسة الأدب المقارن ، وأهمية تنشيط حركة البحث العلمي الجاد في هذا العلم . لكن حداثة علم الأدب المقارن زمنياً ، لا تعني حداثة المادة التي يبحث فيها هذا العلم ، وهي الصلات التاريخية بين آداب عالمية في لغات مختلفة ، وما تسفر عنه مثل هذه الصلات من نتائج ، سلبية او ايجابية ، وما يتخلف عنها من بصمات تدل على التأثر او التأثير المتبادل بين الآداب .

فلو نظرنا في تاريخ اوروبا الأدبي ، على أساس انها القارة او المكان ، الذي شهد استقلال هذا العلم في العصر الحديث

لوجدنا ان الصلات بين آداب اللغات الأوروبية المختلفة، قديمة، بل موغلة جداً في القدم ، اذ يرجع تاريخ اقدم ما يعرف منها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام . ففي نحو سنة ١٤٦ ق . م انتصرت روما اللاتينية (القيصرية) على اثينا الاغريقية انتصاراً عسكرياً ساحقاً . وكان الاغريق ، أو اليونان كما نسميهم نحن قد بلغوا ذرى رفيعة سامقة في مجالات حضارية مختلفة ، كان الأدب بمعظم اجناسه المعروفة في مقدمتها . ولا زالت الثقافة الأغريقية بصفة عامة ، وأدب الاغريق بصفة خاصة ، تعتبر مثلاً أعلى يحتذى، من قبل الأدباء المرموقين في كل اللغات تقريباً ، حتى عصرنا هذا ، وسيظل الأمر كذلك مستقبلاً أيضاً كما نظن . فكل أديب يريد ان يظهر ثقافته ومعرفته العريقة ، يتحدث عن الثقافة الاغريقية القديمة ، بل قد يحاكي بعض اعمالها الادبية ، اما عن قصد ، واما عفوياً . ويكفي ان نذكر بعض الأجناس الأدبية القديمة ، كجنس الملاحم مثلاً ، ليتبادر إلى ذهن الأدباء والمتصلين بالادب ، أول ما يتبادر ، اسم هوميروس والياذته المشهورة عن حرب طروادة التاريخية ، او الاوديسة . ولا يذكر النقد الأدبي ، وفنون الشعر ، حتى يتبادر إلى اذهان الأدباء ، أول ما يتبادر ، اسم الفيلسوف الاغريقي القديم ارسطوطاليس صاحب اقدم دراسة معروفة في قواعد النقد الأدبي ، في كتابه الشهير «فن الشعر» الذي ترجمة إلى العربية حديثاً الدكتور عبد الرحمن بدوي . وقد هيأت هذه الظروف الفرصة أمام ثقافة وادب الامة المغلوبة – وهم الاغريق ، او اليونان – لتنتصر على ثقافة وادب الأمة الغالبة عسكرياً ، وهم اللاتين في روما القيصرية . فأصبح شعار ادباء اللاتين ومثقفيهم تعلم لغة الاغريق ، والاطلاع على ادبهم وفهمه فهماً صحيحاً ومحاكاته ، لأنه هو المثل الأعلى للعمل الأدبي . وظهرت في تلك الفترة أول أقدم محاولة معروفة لتنظيم العلاقات بين آداب اللغات المختلفة ، وهي نظرية المحاكاة ، التي أعلنها الأديب والمثقف اللاتيني القديم «كانتيليان» وكانت تشتمل على خمس نقاط أساسية هي :

• على الأدباء اللاتين أن يعتبروا المحاكاة ضرورة لاغنى عنها للعمل الأدبي الناجح .

• المحاكاة ليست عملاً سهلاً ، ولكنها تحتاج إلى جانب الموهبة إلى الخبرة والمقدرة على تمييز الجيد من الرديء ، حتى لا تحاكي إلا الأعمال الجيدة فقط . . وفي هذا إشارة إلى نظرية ارسطو في محاكاة الطبيعة في صورها ومظاهرها القوية المعبرة .

• المحاكاة لا تكون للكلمات فقط ، ولكنها للجوهر ، في الشكل والمضمون .

• ان تكون لدى من يحاكي القدرة على اختيار النماذج التي يحاكيها ، والقدرة على محاكاتها .

• المحاكاة ليست الهدف النهائي للأديب ، ولكنها الطريق إلى الوصول إلى ذاتية مستقلة في الانتاج الأدبي ، مصقولة بالمعرفة والتجربة .

وقد ظل الأدب الاغريقي مسيطراً على فكر ونتاج ادباء اللاتين ، حتى بعد ظهور المسيحية . وكل الأعمال اللاتينية في الأدب تعتبر تقليداً ومحاكاة لنماذج اغريقية اقدم منها . فمثلاً الانيادة ، او الانيد ، التي كتبها اشهر شعراء اللاتين «فرجيل» لم تكن في الحقيقة الا تقليداً لاليادة هوميروس ، شاعر الاغريق القديم .

ولما كانت الصلات بين آداب اللغات الاوروبية قديمة جداً ، فان الصلات بين آداب الشرق قديمة جداً أيضاً . ويقرر علماء فقه اللغة المقارن ، والأدب المقارن ، ان التاريخ الحضاري لم يسجل للغة من اللغات تأثيراً بعيد المدى مثلما سجل للغة العربية ، اذ تكاد لا تخلو لغة من لغات العالم الكبرى من أثر لغوي ، عربي فيها . وهذا يؤكد أصالة هذه اللغة التي اصطفاها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة قرآنه وبيانه العظيم للناس كافة .

أما الصلات التي نشأت بين ادب اللغة العربية وآداب اللغات الأخرى ، فانها كثيرة وقديمة جداً ، وربما ترجع في بداياتها الأولى إلى العصر الجاهلي ، قبل الاسلام . فمن المعروف عن العرب في العصر الجاهلي ، انهم كانوا يتصلون بالأمم المجاورة لهم في أطراف الجزيرة ، كالفرس ، وأهل الحيرة ، والغساسنة . وكان بعض العرب يستعملون جيوش الأمم المجاورة ، ويتصلون بملوكها ، ويحصلون على عطاياهم وهباتهم . بل ان هنالك روايات تقول ان من عرب الجزيرة من اتصل ببيزنطة ، بل ان بعض الروايات يذهب إلى أن إمرأ القيس ، أشهر شعراء العرب في الجاهلية اتصل ببيزنطة ، ومات ودفن في أراضيها . وان صحت تلك الروايات فانها تعني ان الأدب العربي في العصر الجاهلي اتصل بآداب لغات أخرى . بيد أننا ، في دراسات الأدب المقارن ، لا نستطيع ان نأخذ بروايات لا تدعمها وثائق تاريخية دامغة لا تقبل الجدل ، لهذا نترك امر صلة الأدب العربي بغيره من الآداب في العصر الجاهلي إلى حين يتم العثور على وثائق تاريخية صحيحة تؤكد ان هنالك صلات قد تمت فعلاً بين الأدب العربي في تلك الفترة وغيره من آداب اللغات الأخرى . وحتى يتم ذلك فاننا نستطيع ان نعتبر ذلك العهد من وجهة نظر الأدب المقارن ، اسطوريا ، فيما يتعلق بصلة ذلك الأدب بغيره من الآداب .

أما الأمر المؤكد والثابت بالوثائق ، التي لا تقبل الطعن او الجدل ، فهو ان العرب قد بدأ انفتاحهم على غيرهم من الأمم ، حضارياً ، بعد ظهور الاسلام ، ومع بداية الفتح الاسلامي وانتشار هذا الدين في الامصار والآفاق . وكان الأساس الأول لذلك

الانفتاح الحضاري العظيم هو هدى القرآن الكريم ، الذي علم الناس ، من عرب وغير عرب ، ان الناس سواسية لا يفضل احدهم على الآخر إلا بالتقوى ، أي بما يقدم من عمل صالح ، بصرف النظر عن جنسه ووطنه ، كما قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وقد بدأ العرب بفتح بلاد الشام ، وما بين النهرين فاتصلوا بحضارة تلك البلاد العريقة ، سواء منها السورية والفينيقية والبابلية القديمة ، أو الرومانية التي أتى بها المستعمرون الرومان في العهد المسيحي ، قبل الفتح الاسلامي ، إلى تلك البلاد . وكانت هنالك ترجمات قديمة ، عبرية وسريانية ، لكتب اغريقية وبيزنطية كثيرة في الاديرة والكنائس ، اطلع عليها العرب ونقلوا بعضها إلى العربية ، قبل أن ينقلوها اليها من الاغريقية مباشرة وكانت تلك هي أقدم عملية تطعيم للادب العربي ، عرفت في تاريخ انفتاح العرب حضارياً على غيرهم من الامم . ثم تلا ذلك فتح العرب المسلمين لبلاد فارس في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . وقد مهد ذلك الفتح لفتوحات اخرى كثيرة ، امتدت إلى تركيا الشرقية ، والسند والهند ، وبعض أجزاء الصين . ولم يتعصب المسلمون ، بل أخذوا عن غيرهم ، ونشطوا في الترجمة والنقل ، حتى أصبح العصر العباسي فيما بعد ازهر عصور الانسانية في اتصال حضاراتها وآدابها المختلفة ، وتزاوجها المثمر .

امتدت الفتوحات الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين ، رضوان الله تعالى عليهم ، شرقاً وغرباً ، وكتب للمسلمين الفاتحين النصر في كل معركة خاضوها ، لأنهم كانوا لا يحاربون من أجل غرض دنيوي ، بل اعلاء لكلمة الله تعالى ونشراً لدينه القويم في الآفاق . فدخلت شعوب كثيرة في الاسلام ، وتعلمت تلك الشعوب اللغة العربية لتقرأ القرآن وتفهمه ، بل اتخذت بعض تلك الشعوب اللغة العربية لغة لها . كما تعلم بعض الولاة ، ومن في حكمهم ، من العرب لغات الشعوب التي انتدبوا من قبل الخلفاء لحكمها . أو لادارة وتصريف بعض أمورها ، فامتزجت لغات شعوب كثيرة ، من تلك التي اعتنقت الاسلام ديناً ، مع اللغة العربية ، وتأثرت بها وأثرت فيها ، أخذاً وعطاء . وكان في مقدمة تلك اللغات ، اللغة الفارسية . اذ نجد الموالي في عصر بني أمية ينتشرون في الحواضر العربية ، ويتغنون بالشعر العربي ، مدخلين عليه امراً جديداً هو التلحين والايقاع المنظم . ومنذ العصر الأموي ترجمت كتب كثيرة من الفارسية ، والهندية إلى اللغة العربية بأوامر من بعض الخلفاء . الا ان البداية الحقيقية للترجمة المنظمة ، التي احدثت اثراً واضحاً متبادلاً بين اللغتين العربية والفارسية ، كانت في أواخر عهد بني أمية وقادها علم من اعلام الأدب العربي ، كان يجيد هاتين اللغتين اجادة تامة ، وهو عبد الحميد بن يحيى ، الشهير بعبد الحميد الكاتب . الذي توفي سنة ١٧٥ه ، وكان وزيراً كاتباً لآخر الخلفاء الأمويين . ويقال انه أول من أدخل فن كتابة الرسائل إلى اللغة العربية ، وانه لم يكن يقف عند حدود الترجمة ، بل كان من اعلام المحاكاة المنظمة في ذلك الفن . ثم أعقب عبد الحميد صديقه ، اشهر المترجمين من الفارسية إلى العربية ، عبدالله بن المقفع الذي نقلت كتبه التي ترجمها إلى العربية إلى كثير من لغات العالم الكبرى خصوصاً في أوروبا ، وأهم ما ترجمه من الفارسية إلى العربية كتاب « كليلة ودمنة » وهو من الأدب الرمزي المفهوم ، الواضح الاتجاه في الاصلاح السياسي والاجتماعي والتربية الخلقية . وكان الرمز فيه يتمثل في سرد العبر والعظات في أسلوب قصصي غير مباشر ، على ألسنة الحيوانات ، وقد ذكر ابن المقفع في مقدمة هذا الكتاب انه قد سبق أن نقل إلى الفارسية من الهندية ، قبل أن يقوم هو بترجمته الى العربية . وقد اعتمدت ترجمة ابن المقفع ، دون سواها ، أساساً لكل الترجمات إلى اللغات الأخرى ، فيما بعد . كذلك ترجم ابن المقفع كتباً أخرى في أدب الاجتماع والعلاقات العامة مثل « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » وغير ذلك .

وما ان هل العصر العباسي الأول حتى أصبحت الترجمة من الفارسية ، ومن غيرها من اللغات إلى العربية ، أبرز ما يمثل النشاط الثقافي في ذلك العصر ، منذ عهد المنصور ، إلى أن توج ذلك كله بتأسيس دار الحكمة في بغداد ، التي تعتبر اقدم مركزاً للبحث العلمي ، أسهم في عملية الاخصاب الثقافي بين حضارات انسانية كثيرة مختلفة ، وقد بلغ ذلك ذروته في عهد الخليفة المأمون .

ولما أخذ العرب عن الفرس ، أخذ الفرس عن العرب ، فأخضعوا شعرهم للأوزان العربية ، حتى اننا نجد ان معظم الشعر الفارسي القصصي جاء من البحر المتقارب ، إلى جانب بحور اخرى . كذلك أصبحت اللغة الفارسية ، وهي هندو/جرمانية الأصل ، تحمل في نحو سبعين في المائة من مفرداتها كلمات من أصل عربي ، كما تأثرت أجناس أدبية فارسية كثيرة بما يماثلها ويقابلها في الأدب العربي .

ومن بلاد فارس انطلق العرب إلى السند والهند ، وإلى تركيا الشرقية ، وطاشكند ، وبخارى ، وسمرقند ، وإلى أطراف الصين ، ناقلين معهم لغتهم وأدبهم وفكرهم ، آخذين عن الشعوب التي اتصلوا بها ما أعجبهم دون ان يفقد أدبهم شخصيته المستقلة ، وسماته الخاصة المميزة .

وكل ذلك يشكل ميداناً واسعاً من ميادين البحث العلمي الجاد في علم الأدب المقارن ، نستطيع أن نقدم من خلاله صورة للصلات التاريخية والتأثيرات المتبادلة بين الآداب الشرقية ، في إطار الأدب الاسلامي المقارن ■

د. عمر الطيب الساسي
جامعة الملك عبد العزيز — جدة

دارة الملك



أكاديمية علمية ناهضة، انشئت في عاصمة المملكة العربي
الملك عبد العزيز آل سعود، الذي استطاع بما آت
أن يجمع النقائض، ويقرب الاضداد، ويجتث النوازع والأهواء من
العربية السعودية.

فالدارة، وهي تحمل اسم أحد أبطال التاريخ الأفذا
بصلة إلى الجزيرة العربية والوطن العربي والأمة الاسلامي
بصورة عامة، والمملكة العربية السعودية بصفة خا

معالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس الدارة أثناء زيارته للدارة، يشاهد لوحات الأطلس التاريخي للدولة، وهو أول أطلس من نوعه تصدره الدارة.



جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود الذي أنشئت الدارة تخليداً لذكراه .

عبد العزيز

سعودية لتخليد ذكرى أسد الجزيرة العربية جلالة المغفور له
ه من ايمان وجلد ، وحلم وعزم وحنكة سياسية ودهاء ،
نفوس ، ويوحد اطراف الجزيرة ، ليقيم بعد ذلك صرح المملكة

تدم لروادها من العلماء والباحثين وطلاب العلم كل ما يمت
النواحي التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية والفكرية

تستقبل مكتبة الدارة طلاب العلم وتيسر لهم مواد الدراسة والبحث .

الاسم والمسمى

تأسست دارة الملك عبد العزيز في الخامس من شهر شعبان عام ١٣٩٢هـ بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٥ كهيئة مستقلة لها الشخصية الاعتبارية ، لتخليد ذكرى القائد العظيم المغفور له الملك عبد العزيز الذي ارسى دعائم هذه البلاد ونشر الأمن والعدالة في ربوعها . فالدارة من هذا المنطلق هي رمز تاريخ الأمة التي جمع الملك عبد العزيز أشتاتها ، وهي المنهل الثر الذي يرتاده كل راغب في التعرف إلى تاريخ وتراث المملكة خاصة والجزيرة وبلاد العرب والاسلام عامة .

والدارة يحتضنها مبنى يقع في وسط حي الناصرية في مدينة الرياض انتقلت اليه مؤخراً، ويتألف من ثلاثة طوابق تضم اقسام الدارة ، ومكاتب العاملين فيها الذين يربو عددهم حالياً على اربعين موظفاً . ويشرف على الدارة مجلس ادارة برئاسة معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي . ويضم المجلس ، في عضويته كلا من وكيل وزارة المعارف ، ووكيل جامعة الرياض ، والاستاذ عمر سليمان الحصين امين عام الدارة ، والاستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير مجلة « الدارة » ، والأستاذ الأديب عبد العزيز الرفاعي ، والأستاذ الأديب عبدالله ابن أدريس . ويجتمع المجلس كل ثلاثة اشهر وكلما دعت الضرورة إلى ذلك ، لبحث شؤون الدارة وتصريف أمورها التي حددتها المادة السادسة من نظام الدارة ، ووضع اللوائح والتعليمات لحسن سير العمل فيها ومناقشة ميزانية الدارة ومنح الجوائز والاعانات والمكافآت لتشجيع البحوث والدراسات . كما يقرر المجلس ايفاد مندوبين عن الدارة لحضور المؤتمرات المحلية والعالمية والقيام بالزيارات العلمية .

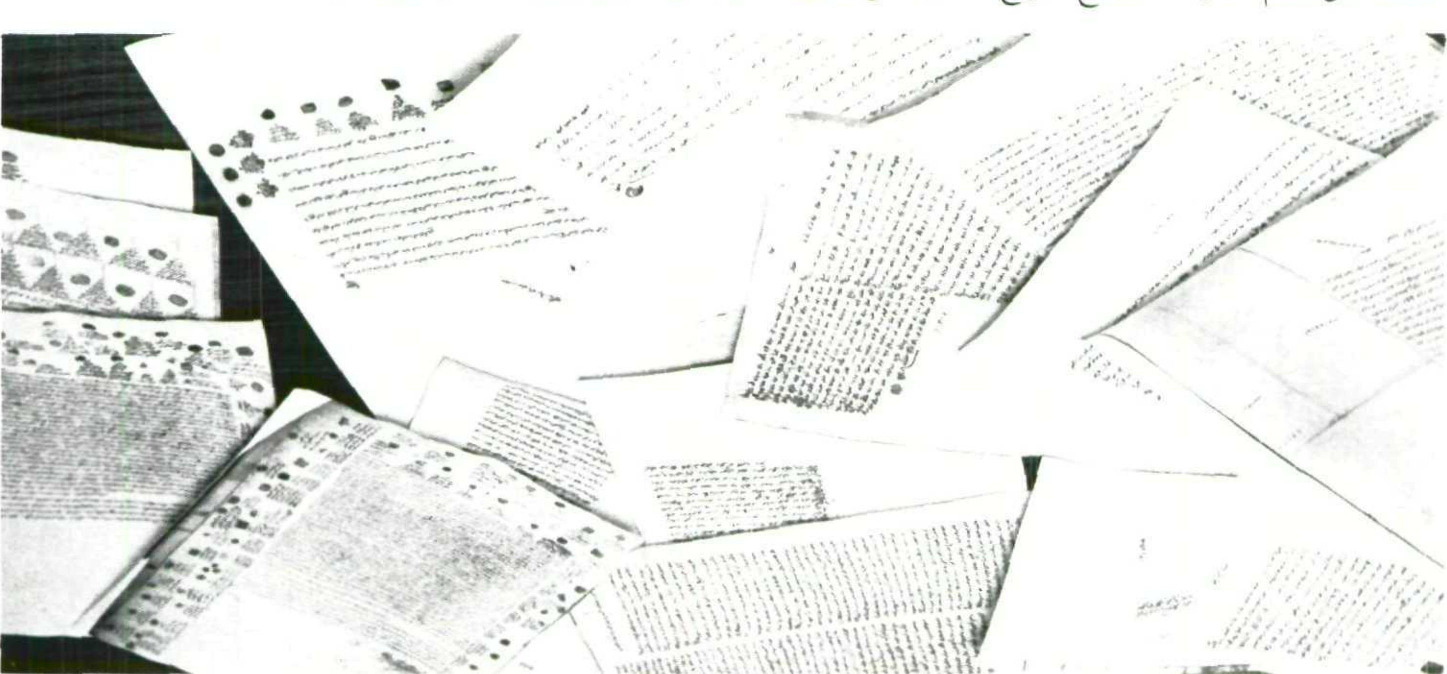
الدارة حدث تاريخي

ليست الدارة في حد ذاتها مكتبة عامة يؤمها طلاب العلم والباحثون للتزود بما تحتويه من معارف وعلوم ، ولكنها ايضاً مركز للبحث العلمي المتخصص ، يقوم العاملون فيه على جمع وتحقيق وترجمة كل ما ألف عن المملكة والعالم العربي والاسلامي في اللغات الحية . ومن ثم عرضه وابرازه في إطار جميل وتيسيره للراغبين في الوقوف على تراث الأمة العربية والاسلامية .

فالدارة من هذا المنطلق تبذل كل ما في وسعها لمعاونة الباحثين ، تمشياً مع الأهداف الأصيلة التي أنشئت من أجلها مستهدفة عمق البحث وأصالة وسلامة منهجه العلمي . ومن أجل ذلك توفر للباحثين وطلبة العلم المصادر والمراجع والوثائق والخرائط والرسوم وكل ما من شأنه ان يعين على اجراء البحوث في كافة الميادين التي تدخل في نطاق الأغراض التي تخدمها الدارة . وبالاضافة إلى ذلك تقوم الدارة باعداد بحوث ودراسات ومحاضرات وندوات عن سيرة الملك عبد العزيز خاصة وعن المملكة وحكامها وأعلامها قديماً وحديثاً بصفة عامة . ومن هنا يتضح العبء الملقى على عاتق القائمين على الدارة من اداريين ، وباحثين ، ومترجمين ، وفنيين ، ومحررين وغيرهم .

وقد لخص معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي الدور الكبير الذي تلعبه هذه المؤسسة العلمية الفريدة بقوله : « الدارة حدث عظيم في تاريخ بلادنا لانها تنتسب إلى والد كريم ومؤسس عظيم هو الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، غفر الله له في الصالحين من عباده المقربين اليه . والدارة بعد ذلك امتداد لكل الأمجاد والانجازات الهائلة التي تحققت بفضل الله ، تضع جيلنا المعاصر أمام كل تلك الأمجاد وجهاً لوجه حتى يزداد ثقة بدينه واعتزازاً بتقاليده ووفاء للأبطال من قادته » .

وعليه فقد حرصت الدارة منذ تأسيسها ، ولا تزال ، على تعاونها مع كل المراكز العلمية داخل المملكة وخارجها . وهي تتطلع إلى الحصول على مجموعات الوثائق والمخطوطات التي تتعلق بتاريخ الجزيرة العربية بصفة عامة والمملكة بصفة خاصة . وقد تمكنت بالفعل من الحصول على مجموعات قيمة منها ، من تركيا ومصر وانجلترا وشرعت في ترجمتها . كما أجرت اتصالات علمية مع مراكز دراسات الشرق الأوسط في أمريكا ، واوروبا وجامعتي اكسفورد وكامبردج في بريطانيا ، ومنظمة اليونسكو . والدارة توالي اتصالاتها مع كثير من الجامعات والمعاهد في جميع أنحاء العالم للاستفادة مما لديها من أبحاث ووثائق عن الجزيرة العربية واجراء اتفاقيات معها تتمثل في تبادل المطبوعات والدوريات .



بعض الوثائق التاريخية التي حصلت عليها الدارة .




معركة روضة مهنا التي جرت في ١٨ صفر ١٣٢٤هـ من بين المعارك التي خاضها المغفور له الملك عبد العزيز .



الاستاذ محمد ابو الفتوح الخياط المخرج الفني لمجلة الدارة ، يراجع بعض المواد مع المترجمين قبل نشرها .

أقسام الدّارة

ينقسم جهاز الدارة إلى قسمين رئيسيين : قسم الشؤون الفنية ويشمل البحوث ، والترجمة ، وتحقيق المخطوطات ، والنشر ، والرسم ، والتصوير ، والمكتبة والوثائق ، والقاعة التذكارية ، ووحدة المجلة . وقسم الشؤون المالية والادارية ، ويضم شعبة شؤون الموظفين والشؤون المالية ، والمستودعات ، والمشتريات ، والتنظيم والادارة ، ومركز الاتصالات . ويضطلع كل قسم بمهمات معينة تحددها اهداف الدارة . فقسم الوثائق والمكتبة يتولى الاشراف على تنظيم محتويات المكتبة وفهرستها ، والتزود بكل ما له علاقة وثيقة بتاريخ الجزيرة العربية . وتضم رفوف مكتبة الدارة ما يربو على أربعة آلاف مجلد بلغات مختلفة ، إلى جانب عدد كبير من المجلات والدوريات المتخصصة والصحف من داخل المملكة وخارجها . كما تعتز الدارة باقتنائها المكتبة الخاصة بالمغفور له الملك عبد العزيز ، ومكتبه الخاص . وقد تم الحصول على هذه المكتبة من جامعة الرياض ، ووضعت في قاعة مستقلة لاتاحة الفرصة للجمهور والباحثين للاطلاع على محتوياتها ، وهي تضم ١٥٤٢ مجلداً يدور معظمها حول الموضوعات الدينية والأدبية والتاريخية. وادارة مكتبة الدارة تسعى للحصول على نوع الكتب التي تخدم أغراض البحث العلمي فيما تهدف الدارة إلى تحقيقه متصلاً بالمملكة ، تاريخها وجغرافيتها ، وآدابها وتراثها الفكري ، وبالجزيرة العربية والعالم العربي والاسلامي . وتقوم مكتبة الدارة بالاتصال بدور الكتب ومكتبات الجامعات في كل أنحاء العالم لمعرفة ما لدى كل منها من مواد عن الجزيرة والمملكة وبلاد العرب والاسلام ، تمهيداً للحصول عليها أو على صور منها ، كما تبحث عن الكتب التي تهمها لدى دور النشر وتجار الكتب النادرة . ورغبة في تيسير حصول الباحثين على بغيتهم مما تحتويه المكتبة من مواد ، وضع القائمون على المكتبة فهارس مرتبة باسماء مؤلفي الكتب والمخطوطات وكتاب المقالات في الدوريات ، واخرى بعناوين الكتب والمخطوطات وعناوين المقالات في الدوريات ، وكذلك بالموضوعات مرتبة ومصنفة حسب الحروف الهجائية .

ونظراً لما للوثائق من أهمية بالغة في مجالات البحث فقد خصص جناح خاص بها في المكتبة . والدارة تبذل جهوداً كبيرة للحصول عليها من أماكن تواجدها داخل المملكة وخارجها ، وخاصة من تركيا ومصر وانجلترا وفرنسا وهولندا والبرتغال واسبانيا وايران والهند ، وهي بلدان كانت لها علاقات تجارية وسياسية بالجزيرة والخليج في العصور السالفة . وتحتوي سجلاتها على مكاتبات ومراسلات تسجل احداث تلك العلاقات ، وقد تجمع لدى قسم الوثائق عدد كبير منها ، وقد سجل بعضها على اشرطة ميكروفيلم وخاصة ما حصلت عليه الدارة من ارشيف وزارة الخارجية البريطانية . ويقدر عدد الوثائق التركية الموجودة في الدارة بنحو خمسة آلاف وثيقة . وتعكف الدارة حالياً على ترجمة الوثائق الانجليزية ، والوثائق التركية . وهذه الوثائق تلقي ضوءاً كبيراً على مجريات الأمور في الجزيرة العربية وخاصة في الفترة



جانب من مكتبة المغفور له الملك عبد العزيز وقد خصص لها جناح خاص ضمن مكتبة الدارة .

ما بين ١٩٠٠ م و ١٩٢٠م . ويستطيع زائر الدارة ان يصل إلى المادة التي يبغيها من الوثائق عن طريق البطاقات المرتبة هجائياً ، والبطاقات الموضوعية المصنفة ، وبطاقات الخلاصات . ويقوم العاملون في قسم الوثائق بالتوجيه والارشاد اللازمين لتيسير الانتفاع من حضيلة الدارة من الوثائق دون عناء .

وقد قام القسم الفني مؤخراً باجراء مقابلات مع بعض رجالات المملكة الذين عاصروا واتصلوا بالمغفور له جلالة الملك عبد العزيز أو من رفقائه في السلاح ، وتم تسجيل اقوالهم وذكرياتهم عن الملك الراحل والمعارك التي خاضها ، على أشرطة صوتية محفوظة في الدارة كوثائق حية ، تلقي ضوءاً على ماضي الجزيرة سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ، كما يستعين بها الباحثون على اعادة كتابة تاريخ هذه البلاد لسد الثغرات وتدارك الهفوات التي وقع فيها بعض المؤرخين الذين كتبوا عن المملكة العربية السعودية .

قاعة الملك عبد العزيز التذكارية

تجري حالياً استعدادات كبيرة لتنظيم وتنسيق محتويات قاعة الملك عبد العزيز التذكارية بعد ان انتقلت الدارة إلى مقرها الجديد . وفي هذه القاعة يسمع الزائر سيرة البطل ويعيش معه في اعماله الجليلة التي ملأت أسماع العالم ، ويشاهد مراحل كفاحه وبطولاته وفتوحاته منذ أن استولى على قلعة المصمك التاريخية في قلب الرياض ، ومنها انطلقت جحافله شرقاً وغرباً ، شمالا وجنوباً ، يملأ الأرض عدلاً وأمناً ، حتى استقام له الأمر ، وارسى قواعد دولته الفتية على دعائم من الايمان والعلم . وفي هذا المتحف الرائع يشاهد الزائر من خلال الأشرطة السينمائية الفرسان البواسل الذين دخلوا الرياض مع الملك عبد العزيز دخول الظافرين ، كما يشاهد مدينة الرياض في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ المملكة العربية السعودية . وجدير بالذكر ان الدارة بدأت مشروع المتحف عندما عهدت إلى الفنان العربي المعروف جمال قطب بتنسيق وتجهيز متحف الدارة على أساس فني رفيع بالتعاون مع قسم البحوث والوثائق . والمشروع ذو شقين : جانب علمي وتاريخي يضطلع به الدكتور ابراهيم جمعه المؤرخ المعروف والباحث الأديب الذي يعمل كأخصائي للبحوث في الدارة ، وجانب فني تسجيلي متحفي يقوم به الفنان جمال قطب المعروف في الأوساط الفنية التشكيلية . وقد أمر وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ برصد الامكانات اللازمة لانجاز هذا العمل الكبير . وتضمن المشروع عدة برامج وترتيبات خاصة لجمع تراث البطل الراحل ، وتسجيل الآثار والأماكن التي شهدت مراحل كفاحه وبطولاته في « تابلوهات » حية ، وعمل الخرائط الضوئية الجغرافية والتاريخية وغيرها حتى يكون متحف الدارة مرجعاً حياً يضيف دراسة علمية متطورة إلى التراث الانساني والتاريخ العربي الحديث . وقد تم في أواخر شهر مايو ١٩٧٦ افتتاح المعرض الخاص بذلك .

مجلة علمية متخصصة

لعل من ابرز انجازات الدارة هو اصدار مجلة دورية ربع سنوية تخدم اغراض الدارة وتحمل اسمها ، ويرأس تحريرها الاستاذ محمد حسين زيدان الأديب المعروف ، ويعمل في هيئة التحرير نخبة من رجال الفكر والأدب والقلم تضم الاستاذ عبدالله بن خميس ، والدكتور منصور الحازمي ، والاستاذ عبدالله بن أدريس ، والاستاذ عبدالله الماجد امين عام الدارة المساعد . ويسهم فيها كتاب كبار من داخل المملكة وخارجها . وهي تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية بشكل خاص ، والعالم العربي والاسلامي بشكل عام . وصدر العدد الأول منها في غرة ربيع الأول ١٣٩٥ هـ بكلمة رائعة من الملك الراحل فيصل يصف فيها أباه المغفور له الملك عبد العزيز صاحب الدارة . وقد وصف معالي وزير التعليم العالي المجلة بقوله انها احد الوجوه المضيئة لأهداف الدارة ورسالتها . وتمتاز المجلة باخراجها الفني الرفيع وورقها الصقيل وموضوعاتها الحية الاصيلة . والى جانب البحوث والمقالات العربية القيمة تنشر المجلة ملخصات لها باللغة الانجليزية يستفيد منها المعنيون بتراث المملكة والجزيرة العربية . ومن بين أعمال المجلة البارزة قيامها مؤخراً باعداد ثبت ببليوغرافي للمجلات والنشرات العلمية المتخصصة التي تصدر في الجزيرة العربية ، وذلك حرصاً منها على تقديم العون للباحثين والدارسين .



المغفور له الملك عبد العزيز وهو يتفقد منطقة العقبة .

تطلعات متفائلة نحو المستقبل

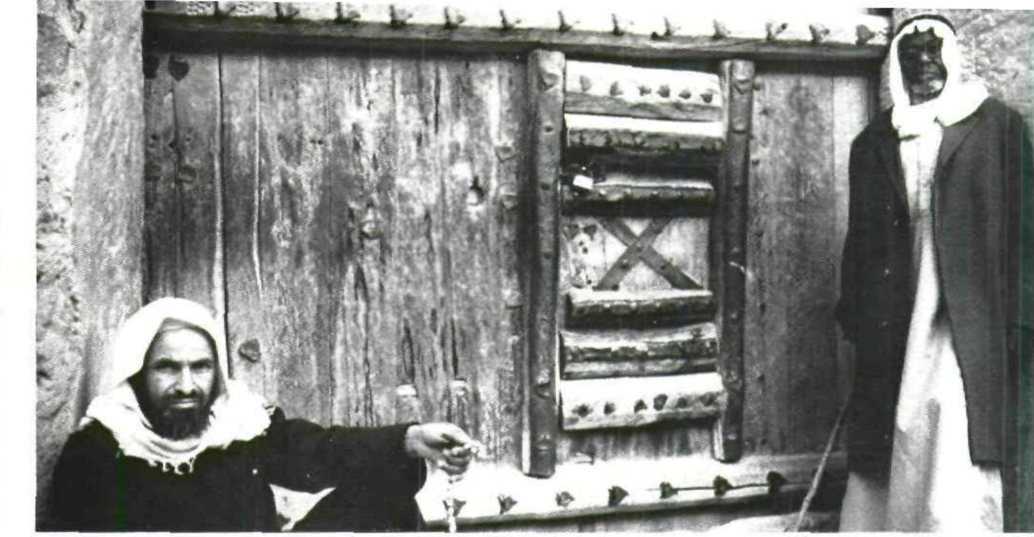
بالاضافة إلى مجلة الدارة التي هي موضع تقدير الأوساط الرسمية والعلمية فقد حققت

الدارة انجازات بارزة من بينها اعداد الأطلس التاريخي للدولة السعودية ، وهو يضم اربعة أقسام توفر للباحث كل المعلومات والحقائق التاريخية والجغرافية عن الجزيرة العربية منذ العصر الجاهلي حتى الآن . ويتناول القسم الرابع من هذا الأطلس الملك عبد العزيز آل سعود واتساع الدولة في عصره وما حققه ، رحمه الله ، من انجازات في كل المجالات . وقامت الدارة باصدار عدد من المطبوعات تتعلق بتاريخ المملكة والحركة الفكرية فيها . وتشجيعاً للبحث والتأليف فقد اقر مجلس الدارة منح جائزة سنوية باسم « جائزة الملك فيصل » لمؤلف أحسن كتاب يتفق مع أغراض الدارة . ويشترك في هذه المسابقة الثقافية الباحثون والمتخصصون مع الالتزام بقواعد البحث العلمي المنهجي المدعم بالوثائق والأسانيد . وتعد الدارة مواسم ثقافية حيث يتم اختيار بعض الاساتذة والمتخصصين لالقاء محاضرات في موضوعات متخصصة تتفق ونشاطات الدارة ، ثم تطبع هذه المحاضرات تمهيداً لنشرها وتوزيعها على الباحثين والمتخصصين في تاريخ الجزيرة العربية والتراث الاسلامي . وبدأت الدارة موسمها الثقافي الأول في ١٣٩٦/١/٩ هـ ، وكانت أول محاضرة بعنوان « الملك فيصل بن عبد العزيز ودعوة التضامن الاسلامي » لفضيلة الشيخ مناع القطان، مدير المعهد العالي للقضاء بالرياض ، حيث تناول جهود الفيصل ، طيب الله ثراه ، على صعيد العالم الاسلامي وكيف أصبح التضامن الأسلامي واقعاً يعيشه العالم الاسلامي، كما شمل الموسم الثقافي محاضرة عن « مصادر تاريخ الجزيرة العربية » للعلامة الشيخ حمد الجاسر ، و « نظام الاقتصاد في الاسلام » للدكتور عيسى عبده .

وفي خاتمة المطاف كان لنا لقاء مع امين عام الدارة المساعد الاستاذ عبدالله الماجد الذي حدثنا عن تطلعات الدارة المستقبلية فقال : بالرغم من ان الدارة لا تزال في بداية الطريق ، الا انها بفضل الله وعونه تمكنت من تحقيق منجزات علمية رائعة ، ومجلة الدارة خير دليل على ذلك . والأمل كبير في أن تواصل الدارة دورها الفكري متعاونة في ذلك مع لفيف من رجال الفكر والأدب والتراث في عالمنا العربي والاسلامي ، خصوصاً وانها تحظى بالرعاية الشاملة من المسؤولين ■

سليمان نصرالله – هيئة التحرير

تصوير : علي عبد الله خليفة



بوابة قلعة المصمك العتيدة التي استولى عليها المغفور له الملك عبد العزيز ومنها انطلق ليوحد أطراف الجزيرة .



الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكي روزفلت على ظهر بارجة حربية .



الملك عبد العزيز ومعه ونستون تشرتشل أثناء محادثاتهما على شاطىء بحيرة قارون في الفيوم .

صناعة الجبن

قشير الأدلة إلى ان الجبن كان معروفاً لدى الانسان منذ آلاف السنين ، وان اليونانيين والرومان كانوا يتخذون منه وجبه رئيسية ، وذلك في العام الألف قبل الميلاد . وترجح هذه المصادر ان يكون الرومانيون قد أدركوا القيمة الغذائية العالية الكامنة في الجبن مما حملهم على تقديمه كوجبة رئيسية لجيوشهم . وتقول هـذه المصادر ان اليونانيين كانوا يقدمون الجبن لابطالهم الرياضيين ، لتغذيتهم وحملهم على الجلد مدة اطول اثناء ممارسة العاب القوى .

وتذكر احدى الأساطير ان الجبن ظهر في باديء الأمر في الجزيرة العربية قبل آلاف السنين ، وتروى في هذا الشأن قصة تاجر عربي يدعى « كنانة » قام برحلة تجارية طويلة عبر الصحراء ، وقبل قيامه بالرحلة تزود بما يحتاجه من طعام وشراب ، وحمل معه بعض الحليب في جراب مصنوع من معدة شاة . ولما انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس شعر « كنانة » بظمأ شديد فتوقف عن المسير ، وتناول جراب الحليب يريد أن يطفيء به ظمأه . . . ولشد ما كانت دهشته حين لاحظ ان الحليب قد تخثر وتغير شكله . وحتى يتأكد من أن الحليب لم يفسد أخذ يتذوقه بحذر فوجد له طعماً لذيذاً ، ولم يكن ما تذوقه « كنانة » في ذلك الوقت سوى نوع من الجبن بعد ان تخثر الحليب بفعل الحرارة والحركة . ولما عاد « كنانة » إلى بلده أخبر أهله ومعارفه بما حصل معه ، ومنذ ذلك الحين واكتشاف « كنانة » لهذا السر ينتشر في الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها ، ومنها انتشر الخبر في بقية أنحاء العالم .

وهناك حقائق تاريخية تؤكد معرفة الناس للجبن منذ القدم ، منها ما جاء ذكره في التاريخ عن « زورواستر » الفيلسوف الفارسي الذي عاش قبل الاسلام بمئات السنين ، والذي قيل عنه انه لم يأكل شيئاً سوى الجبن مدة عشرين عاماً .

وهكذا يبدو من قصة التاجر العربي « كنانة » ان الجبن كان معروفاً منذ القدم في الجزيرة العربية والبلدان الأخرى المجاورة ، وان البلدان الغربية التي أخذت تتفنن في صناعة الجبن ، حتى أصبحت أنواعه تعد بالمئات ، تدين



بين الماضي والحاضر

بما وصلت اليه من شهرة في هذه الصناعة إلى التاجر العربي « كنانة » .

هذا ويستدل من اللوحات العديدة التي عثر عليها في عدد من الكهوف الاثرية ، أن الحليب ، وخاصة حليب الماعز ، كان واحداً من أقدم أنواع الغذاء التي كان يتغذى بها الانسان في الازمان الغابرة .

غير أن المصادر التاريخية القديمة لم تلق الضوء على المكان والزمان الذي تأتى للانسان فيه السيطرة على هذه الحيوانات ، كالماعز ، والأبقار وتدجينها لضمان حاجته اليومية من هذا الغذاء المفيد .

ومن ناحية أخرى فقد جاء في الكتابات الهندوسية القديمة ، منذ أربعة آلاف عام ،



قرصان مـــن جبن « الغودا » وهما على شكل يشبه عجلات العربة .

قطيع من بقر « الفريزيان » المشهور بانتاج الحليب ، وحيث يتوفر الحليب الجيد تتوفر أنواع الجبن الطيبة كذلك .

جهاز آلي خاص باعداد اللبنة في مصنع الألبان الوطني بالخبر .



غرفة قيد الأوزان التاريخية في «ايدام» بالقرب من امستردام عاصمة هولندا .
وقد ظلت وسائل وزن جبن « ايدام » على ما كانت عليه قبل قرون عديدة .

ذكر الحليب والزبدة ، كما تشير مصادر قديمة أخرى إلى الماشية والحليب والزبدة والجبن . وكلما تصفحنا المزيد من كتب التاريخ القديمة فاننا نلحظ العديد من الفقرات التي تشير إلى منتجات الألبان وطرق تحضيرها ، لكن تحديد المكان والزمان الذي تم فيه صنع الجبن لأول مرة لا يزال مجهولاً . وهناك عدد من العلماء المهتمين بمثل هذه الأبحاث يعتقدون ان البدو في فنلندا كانوا هم الدين طوروا طرق تحضير الجبن ، ومن ثم نقلوا هذه المعرفة إلى الدول الاسكندنافية .

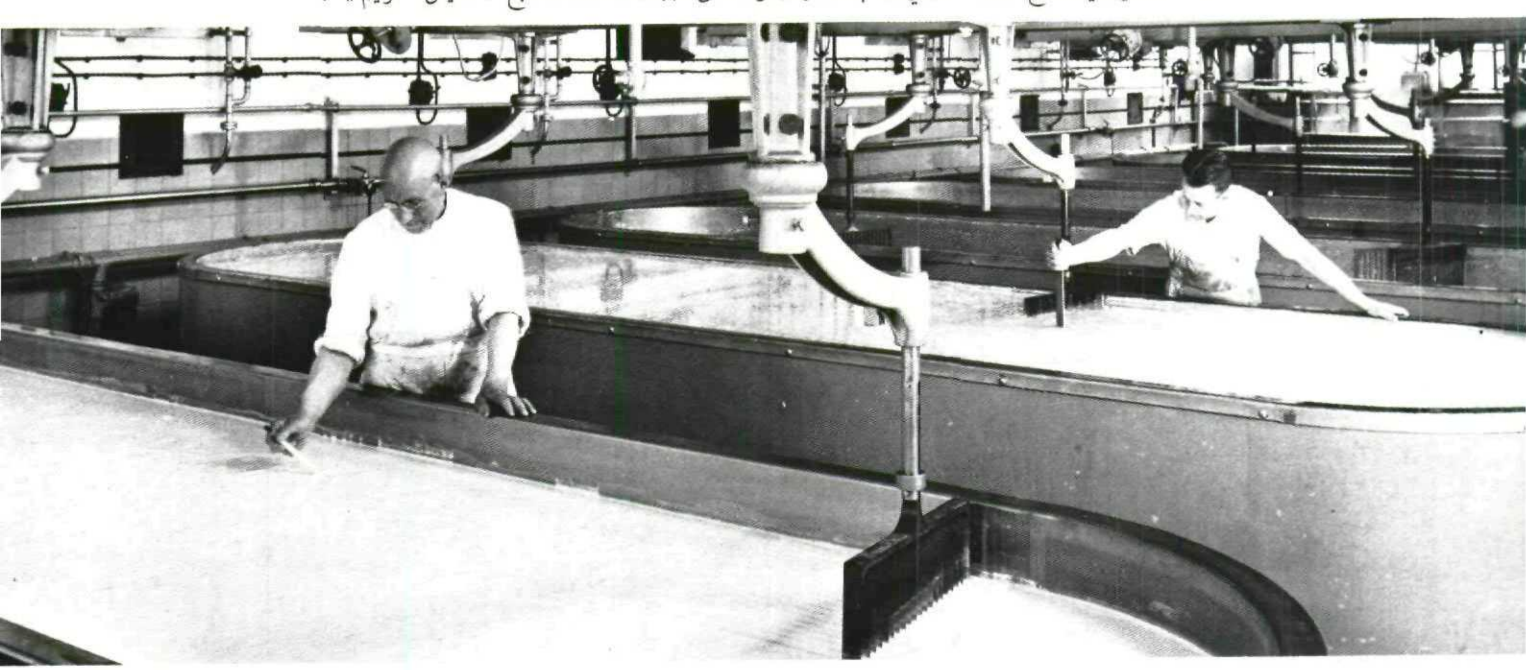
وفي روما القديمة ، قبل حوالي الفي عام ، وصلت صناعة الجبن إلى مرتبة راقية جداً ، اذ كان اعداده يتم بطريقة مدروسة وبايدي أشخاص يتمتعون بكفاءة عالية في هذا الميدان . واليوم أصبحت الأسواق مليئة بمختلف أنواع الجبن ، ولا يقتصر استعمال الناس للجبن على أكله كصنف منفرد بل أخذوا يتفننون في تحضيره أطباق عديدة شهية من المأكولات يلعب الجبن دوراً رئيسياً فيها .

وتشير التقارير إلى أن منطقة « فريزلاند » بهولندا ، كانت قبل حوالي الف ومائتي عام تملك قطيعاً كبيراً من الأبقار . وقد اشتهرت مدينتا « غودا » و « ايدام » بالصنف الجيد منذ زمن طويل . كما كانت أسواق الجبن تقام في مدينة « هارلم » منذ عام ١٢٦٦م ، وفي مدينة « ليدن » منذ عام ١٣٠٣م . وكان الجبن والزبدة يصدران في ذلك الوقت إلى الجزء الجنوبي من هولندا . ومنذ ستمائة عام كانت هذه المنتجات تصدر إلى دول البلطيق ، وبعد مائتي عام ، اتسع نطاق التصدير حتى وصل إلى فرنسا واسبانيا والبرتغال . وكان الهولنديون في ذلك العصر يتولون بأنفسهم مهمة نقل الجبن بالسفن إلى سائر أقطار أوروبا .

وقد حاولت عدة أقطار تقليد جبن الغودا والايدام الذائعة الصيت . فمنذ حوالي مائة وخمسين عاماً اخذت المانيا في صنع جبنة الغودا ، وعملت على تسويقها داخل البلاد . وفي تلك الفترة ، نزلت إلى الأسواق في هولندا جبنة من نوع جديد تحمل اسم « ليمبورج » وهو اسم احدى المقاطعات الهولندية .

وتعتبر هولندا من أكبر البلدان المصدرة لمنتجات الألبان ، فهي تصدر سنوياً آلاف الأطنان من الجبن المختلف الأنواع والأشكال والمذاق . وتأتي نيوزيلندا في المرتبة الثانية في

أحد العاملين في مصنع الألبان الوطني بالخبر وهو يشرف على جهاز لاعداد اصابع « الآيس كريم » .



مصنع للجبن يرى فيه حوض الحليب أثناء عملية التخثر .



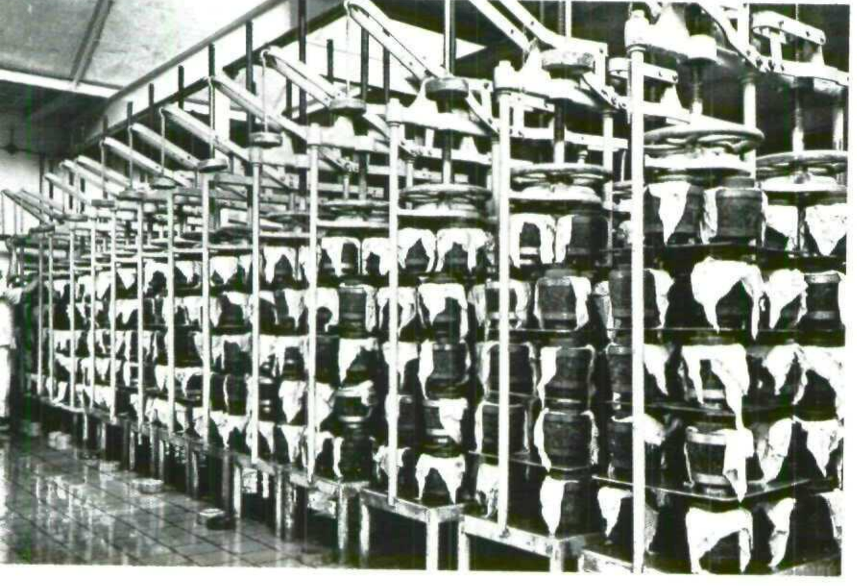
جبن « الايدام » ويحضر دائماً على شكل مستدير . أما النوع الآخر فيدعى « برود كاس » وهو على شكل رغيف مستطيل .

سوق « ايدام » ويرى في أقصى الصورة بيت وزن الجبن التاريخي وقد أخذت الصورة بمناسبة مرور أكثر من ٧٠٠ عام على ابتكار هذا النوع .





سوق جبن الغودا ، وتقام صباح كل يوم خميس خلال فصلي الصيف والخريف . ويأتي المزارعون الى السوق وهم يحملون منتجاتهم التي صنعوها لبيعها .



مصنع تبدو فيه براميل الحليب مرصوصة للتخمير .



صناديق مليئة بعلب اللبن الرائب معدة للتخزين وذلك تمهيداً لتوزيعها في الأسواق





عدد من حملـة أقراص الجبن في منطقة الكمار في شمال هولندا خلال أيام سوق الجبن التي تقام صباح كل يوم جمعة في فصلي الصيف والخريف .

لقد درج معظم الناس في وقتنا الحاضر على تناول الجبن ضمن وجباتهم العادية . وكما هي الحال بالنسبة للبلدان الأوروبية فان موائد الافطار في بلدان الشرق الأوسط وخاصة البلدان العربية قلما تخلو من نوع أو أكثر من أنواع الجبن اللذيذة الطعم . وقد اعتاد الاوروبيون على تناول الجبن في الفترات الواقعة بين الوجبات الرئيسية ، كما أنهم يأكلون الجبن مع العصير ، وقلما يأكلونه مع الخبز كما هي الحال في بلدان الشرق الأوسط .

ويقول البروفسور « ج . و . بيت » ، مدير معهد هولندا للأبحاث الخاصة بمنتجات الألبان أن في بلدة « هورن » عائلتين ما زالتا تحتفظان بوصفة معينة لاعداد نوع خاص من الجبن يدعى « ميشانجر » وهو نوع لين من الجبن يلتصق بالسكين حين قطعه . وقد نجح البروفسور « بيت » في تحضير هذا النوع في مختبره .

كما تم تحضير نوع آخر في أقراص مستديرة تحفظ فترة أطول من الجبن الفرنسي ، وهي سهلة التقطيع وتلائم نكهتها الطيبة جميع الأذواق في الوقت الحاضر وشكلها جيد .

ويحمل جبن « كيرنهيم » اسم قلعة أثرية في منطقة ليمبورغ في هولندا ، يقوم مكانها الآن معهد هولندا للأبحاث الخاصة بمنتجات الألبان.

وبعد ، فان شهرة الجبن ليست مقصورة على الأقطار الأوروبية فحسب ، فقد أصبح العالم العربي ينتج اليوم أنواعاً عديدة من الجبن أخذت تحتل مركزاً مرموقاً على موائد الطعام ، فهناك الجبن الحلوم ذو الشهرة الكبيرة ، والجبن النابلسي اللذيذ الطعم والذي يستخدم في اعداد أنواع من الحلويات وخاصة الكنافة ، وكذلك الجبن العكاوي والحموي وغير ذلك مما تنتجه مصانع منتجات الألبان المنتشرة في العالم العربي ●

يعقوب سلام – هيئة التحرير

تصدير الجبن . ومن البلدان الأخرى المشهورة بانتاج الجبن وتصديره : الدانمرك ، واستراليا ، وفنلندا ، والمانيا ، وكندا ، وفرنسا ، وايطاليا . وبالرغم من اتساع نطاق صناعة الجبن وتصديره للخارج ، فقد ظلت هولندا محتفظة بالمرتبة الأولى بين دول العالم ، ونيوزيلندا بالمرتبة الثانية .

وهناك فروق ضئيلة بالنسبة لأنواع الجبن التي تصنع في هولندا ، وبشكل خاص جبن الغودا والايدام وفريزلاند وليدن وليمبورد . وتقوم هولندا اليوم بصنع ثمانية عشر صنفاً . وأضيف اليها مؤخراً ثلاثة أصناف جديدة ، كل منها له ميزاته وهي : « الكيرنهيم » ، و « بلوفورت » و « المايسترو » ، كما يجري في الوقت نفسه تصنيع ثلاثة أنواع جديدة تدعى « سـانت بولـين » و « تشيشاير » و « تشيدار » .

من حصاد الكتب

النثر الأدبي
في المملكة العربية السعودية
١٩٠٠ - ١٩٤٥

تأليف: الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ
عرض: الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

هذا الكتاب ، أحد الكتب القلائل التي عنيت برصد الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، والتأريخ لها .. وان كان قد اقتصر على جانب واحد من جوانب تلك الحركة ، وهو جانب النثر .. مقتصراً أيضاً من هـذا الجانب .. على فترة زمنية معينة .

وهو أيضاً ، أحد الكتب القلائل التي كتبت في هذا المجال بأقلام سعودية ، وتناولت موضوعها في جدية بحتة .. وبأسلوب منهجي نزيه .

ويظل ما يقدمه أبناء المملكة ، عن تأريخ الحركة الأدبية فيها ، متسماً بمزيد من الادراك لحقائق بيئتهم المحلية ، كما يظل صاحب الدار أدرى بما فيها .. وان كان هذا القول لا يقلل بحال من تلك الجهود الضخمة أو المخلصة التي خاضت هذا الموضوع .. وهي جهود مشكورة جداً .. بل هي أيضاً محل التقدير العميق ..

وكما يبدو ، فان الدكتور « الشامخ » يضع في أناة ومنهجية هادفة ، موسوعة تاريخية ، تتناول جوانب هامة ، من التأريخ الفكري للمملكة العربية السعودية ، فقد أصدر قبل كتابه هذا كتابين هامين هما : « التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني » و « الصحافة في الحجاز » لفترة ما بين ١٩٠٨ – ١٩٤١ . واني لأرجو أن يوفقه الله الى انجاز تلك الموسوعة .

ومما يحمد للدكتور الشامخ أنه يحدد ، دائماً ، الفترة التي يتناولها بالدراسة .. وانه يضعها في حدود ضيقة ليرصد ظاهرة معينة من جهة .. وليحصر شتات البحث فلا يتسع اتساعاً يذهب بالجهد والوقت .. على أن الفرصة تظل واسعة أمامه ليعود الى بحثه لفترة زمنية اخرى.

ولكن الدكتور « الشامخ » حينما يعمد الى هذا التحديد ، يفضل التأريخ الميلادي على التأريخ الهجري .. بينما التأريخ الرسمي المعتمد في المملكة انما هو التأريخ الهجري .. بل لقد كان سكان المملكة ، الى عهد قريب ، لا يكادون يعلمون من أمر التاريخ الميلادي شيئاً .. ولا يأبه به إلاّ قلة من الناس .. ولعل الدكتور ، انما عمد الى التأريخ الميلادي ليساير تاريخ الحركة الفكرية العامة في البلاد العربية ، وتيسيراً لعملية المقارنة بين الحركات الفكرية المماثلة ، في الفترة ذاتها ، في البلاد العربية كلها ..

وضع المؤلف خطة بحثه في احكام ودقة .. جاءت في بابين رئيسيين ، أولهما النثر الأدبي في الفترة من ١٩٠٠ حتى عام ١٩٢٤ . وثانيهما من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٤٥ .. وقد تكلم في الباب الأول عن النثر التقليدي في الرسائل ، والمفاخرة ، وأنماط أخرى . وتكلم في الباب الثاني عن المقالة بأنواعها .. وعن المقالات الأولى لكتابة القصة .. ثم لخّص بحثه في ايجاز في خاتمة الكتاب .

وقد جاء بحثه في حوالي ١٥٠ صفحة .. وكما حصر المؤلف دراسته القيمة في حقبة معينة من الزمن ، كما صرّح في مقدمة كتابه ، فقد حصرها أيضاً في زاوية معينة من جوانب البحث ، فقال في المقدمة ذاتها : « ليست هذه الدراسة سجلاً لكل ما أنتج في ميدان النثر الأدبي السعودي ، ولكنها محاولة لتتبع حركة هذا النثر خلال حقبة معينة من الزمن » .

ولا تقلل عملية الحصر هذه ، في الزمان والزاوية ، من أهمية البحث ، فهو على وجازته اتسم بالعمق .. بل لقد كانت عملية الحصر عنصراً مساعداً لكي ينفذ المؤلف الى هدفه ، دونما التواء ، أو انصرف الى متاهات تشتت الموضوع .. وتدلف به الى مداخل مختلفة .

ولقد أعانه ذلك التحديد ، على الغوص على معلوماته ، من بطون الصحف القديمة التي أصبحت أثرية ، أو البحث عن مخطوطات مهجورة .. ليقرأ كل ذلك قراءة واعية متأنية ، مستنبطاً منه الأحكام الأدبية التي توصل اليها .

ان هذا الجهد المضني في حد ذاته لقمين بالتقدير .

ولقد اضطر الدكتور الشامخ ، لما اقتضته طبيعة البحث ، أن يرجع الى فترة زمنية أبعد من تلك التي حددها لكي يتمكن من المقارنة ، ورصد أية حركة تطورية .. ويبدو أن ذلك كان أكثر عسراً من فترته الزمنية المحددة .. لأن دراسة أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأوائل الثالث عشر الهجري .. تتطلب غوصاً أعمق الى دنيا المخطوطات ، أو المطبوعات المجهولة .. كما فعل في استخراج رسائل الشاعر المدني « جعفر البيتي » من ديوان هذا الشاعر الذي ما يزال مخطوطاً في تركية .

على أنني لا أريد هنا ، أن أتابع جهود المؤلف وخطواته خطوة خطوة .. بل يكفي أن أقول في ايجاز أنه أوفى بحثه حقه من الدراسة والاستقصاء الى الحد الذي تسمح له به المصادر الشحيحة .

ولقد أطمعني اطلاعه الواسع على جوانب الحركة الأدبية للفترة أو الحقبة التي عيّنها .. أن أتطلع الى جهد إضافي ، تمنيت لو منحه المؤلف للقراء والدارسين – وهو قادر عـلى العطاء – لتكون الصورة أكثر وضوحاً وجلاء .. ولعله يفعل ذلك حينما تتاح له فرصة اعادة النظر في كتابه .

وسأذكر تطلعاتي فيما يلي :

أولاً — استند المؤلف الى مقالات جريدة القبلة وافتتاحياتها في رصده لحركة النثر الأدبي . وهذا أمر طبيعي حقاً . . ولكنه ، حينما تحدث عن بعض المقالات ، لم يكشف لنا — أعني في هذا البعض — عن شخصية الكاتب ، الذي لم يفصح عن شخصيته . . وهذا أمر من الأهمية بمكان كبير ، خاصة حينما يتعين أن نعرف أهو من أبناء البلاد الذين نرصد حركة النثر لديهم ، أو أنه أحد أبناء الأقطار العربية التي سبقت الى دنيا التطور الأدبي الحديث ؟

مثلاً . . حدثنا المؤلف في ص ٥٦ عن افتتاحية العدد الأول من جريدة القبلة فقال : « لقد افتتح محرر جريدة القبلة . . » ولم يحدثنا عن هذا المحرر من هو ؟ . . وأنا أعرف حقاً ان التعرف إلى هذا المحرر بعد كل هذه السنوات التي تصرمت عملية شاقة . . ولكني لا أعتبرها مستحيلة . . وقد يكون من الأدباء الأحياء الذين عاصروا هذا العهد ، من يستطيع أن يعين على التعيين . . أو يدل على أسباب الكشف عنه .

هناك قول لا أعرف مدى صحته ، أن الشريف حسين نفسه كان يكتب بعض افتتاحيات القبلة ، ولعله فعل ذلك في أعدادها الأولى . . وهناك « فؤاد الخطيب » وهناك الشيخ الطيب الساسي . . فأيهم كان محرر القبلة . .؟ اذا كانت المقالات التي نستشهد بها من انشاء الشاعر فؤاد الخطيب . . فانها تخرج من دائرة البحث ، وان كانت تدخل في باب العناصر المؤثرة لا المتأثرة . . وأشهد أن المؤلف لم يغفل النص على ذلك . . ولكني هنا أتحدث فقط عن المقالات التي عزيت الى مجاهيل . . كنت أتمنى أن يبذل المؤلف جهداً اضافياً للكشف عنهم . . وتحديدهم . . على أن الأسلوب نفسه يعتبر عنصراً مساعداً للكشف عن الكاتب . .

ثانياً — ضم الكتاب أسماء أعلام في الأدب والفكر والسياسة . . تمنيت لو ترجم لهم المؤلف في الهامش ترجمة موجزة للتعريف بهم . . على أنني هنا أشهد أيضاً ، أنه حدد تاريخ المولد والوفاة لبعضهم . . وقد أحسن في ذلك صنعاً . . ولكني أظل طامعاً في علمه وفي استكمال هذا الجانب . . ويسوقني هذا الى أمنية أخرى تليق بهذا الكتاب المنهجي ، وهو وضع فهرست خاص بالأعلام يلحق به .

ثالثاً — ويدخل في قبيل « المجاهيل » الذين يحتاجون الى كشف وتحديد ، حديث المؤلف في ص ٧١ عن شاعر قام بتخميس قصيدة ما . . ولكنه لم يكشف لنا عن اسم هذا الشاعر ، وأحسب أن عدد جريدة القبلة ، الذي حدده المؤلف قد اشتمل على ذكر اسم صاحب القصيدة بقوله « صاحب التوقيع » إلا أن يكون التوقيع رمزاً لم يهتد المؤلف الى حله ؟

رابعاً — ومن ذلك . . ان المؤلف حدثنا في ص ٩١ الى خلط كتاب المقالة النقدية بين النقد الأدبي والهجوم الشخصي ، وضرب مثلا بمقالة نشرت في جريدة « صوت الحجاز » بعنوان « تعريف » . . ولكنه لم يحدثنا عن هذه المقالة . . وكيف خلطت بين النقد الأدبي البحت . . وبين الهجوم على الشخصية الأدبية ذاتها . . ولو أنه فعل لقدم الينا نموذجاً كاملا . . ولوقفنا على عملية « الخلط » ناصعة واضحة .

خامساً — حدثنا المؤلف ص ١٠٤ عن بدء خروج النر الأدبي عن دائرة التقليد ، واتسامه بخصائص أصيلة . . ولكنه لم يتطرق الى « تحديد » هذه الخصائص . . وان كان قد أعطانا نماذج جيدة للمقالات التي انفلتت من ربقة التقليد . . واتخذت طابعاً مستقلا . وحسناً فعل . . ولكن هذا الموضوع يعتبر غاية في الأهمية ، ذلك لأن الأدب السعودي ، لا يزال عند بعضهم خاضعاً لقيود التقليد . . وهو رأي لا يثبت طويلاً للدارس الفاحص . . ولذلك كنت أتمنى من المؤلف أن يوليه عناية أكبر . . وأن يشرح خصائص الاستقلال التي استطاع به النثر السعودي أن يستقل بشخصيته . .

وبعد فان من الحق أن أقرر ، ان هذه الدراسة ، تعتبر في تخصصها وعمقها ، دراسة جديدة رائدة في ميدان الأدب السعودي ، بل لقد قدم لنا عنه الدكتور الشامخ مصدراً هاماً قيماً ، على أن هناك بحوثاً بعينها استأثرت بالمزيد من اعجابي ، أذكرها فيما يلي . .

١ — كشف لنا في ص ١٤ وما بعدها عن كاتب جيد الأسلوب ، هو الشاعر المدني جعفر البيتي (١١١٠ — ١١٨٢هـ) وأورد نموذجاً من نثره . . وهو ان كان قد التزم السجع وجرى على عرف عصره ، إلا أن عباراته تنبض بالاحساس ، أو كما قال المؤلف أن تجربته اتسمت بعمق الاحساس .

٢ — ان المؤلف لم يأخذ المصادر الحديثة التي رادت الأدب السعودي على علاتها ، بل وقف منها موقف الفاحص المدقق ، والناقد الحكيم . . يدل على ذلك نقده لكتاب الأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم « الأدب الحجازي في النهضة الحديثة » . حيث نفى في كتابه اهتمام الأدب السعودي في الفترة التي تلت عام ١٣٢٦هـ بالأحداث السياسية ، بينما يذهب المؤلف الى العكس من ذلك تماماً .

٣ — من خير ما اتسم به المؤلف نزعته الى الاعتدال وروح الإنصاف . . وهو يلتزم بهذه النزعة في كل بحثه ، ويكفي أن أضرب مثلاً بما جاء في ص ٤٩ وما بعدها ، حيث قدم فقرات من مقالين تشيع فيهما الأخطاء التعبيرية . ولكنهما مع ذلك يتسمان بنبل الهدف ، وأهمية المضمون . . فهو إذ يكشف عن الأخطاء ، لا ينسى المحاسن ، ويوفي كلا حقه ، وهذا مما يزيدنا ثقة بالمؤلف ، وتقبلاً لأحكامه .

* — رصده لبعض الظواهر التي طفت الى سطح الأدب السعودي في خطواته التكوينية ، مثل :

* — الميل الى النقد اللاذع ص ٨٩ .
* — الرغبة في العراك ، ص ٩٠ .
* — الفوضى الأدبية ص ٩١ .

فانه وان تكن هذه الظواهر الثلاث تنبع من مصدر واحد ، إلا أنه يمكن فصل كل ظاهرة عن الأخرى بدلائلها الخاصة .

٥ — من الفصول الجيدة في الكتاب ، ما كتبه المؤلف في الفصل الثاني من الباب الثاني ، عن المحاولات الأولى في « القصة القصيرة » . . إذ يعتبر هذا الفصل من أمتع وأعمق فصول الكتاب . . وقد بدا فيه المؤلف — كعادته — معتدلاً منصفاً يصدر حكمه في أناة ، ملتزماً الدقة ما أمكنه ذلك . .

بيد أن لي ملاحظة واحدة على هذا الفصل . . تأتي في سياق نقده لقصة « رامز » . . وتنصب على نقطة بعينها وهي اتخاذ الصدفة . . عقدة للقصة أو لتكوين ذروتها . . ذلك أن الاعتماد على الصدفة في نظري لتكوين ذروة قصة ما ، مما لا أعتبره عيباً في البناء القصصي ، بل ان الصدفة تلعب في واقعنا أدواراً عجيبة ، بل لقد تبدو أحياناً أعجب من الخيال ، فاذا كنا نتقبلها كذلك في واقعنا الملموس ، فما بالنا ننكرها في القصص الخيالي . أما أن تكون بقية البناء القصصي محل نقد المؤلف ، فهذا أمر آخر . .

وبعد . . فاني أعود فأقول ، ان الدكتور الشامخ ، قد أضاف بعمله هذا مصدراً جديداً رائداً ، ثقة الى مصادر أدبنا ، وان قلة هذه المصادر لتزيد من نفاسة ما تقدم ●

عبد العزيز الرفاعي — الرياض


* أكبر مهرجان اسلامي تشهده أوروبا منذ ٦٥ عاما
* استغرق اعداده ثلاث سنوات وكلف أكثر من أربعة ملايين دولار
* أضخم تراث اسلامي يعرض في عاصمة أوروبية
مهرجان العالم الإسلامي

شهدت لندن في الأسبوع الأول من شهر ابريل الماضي ، افتتاح اضخم مهرجان اسلامي اقيم في عاصمة اوروبية منذ عام ١٩١٠ ، عندما اقيم مهرجان مماثل في مدينة ميونيخ في ذلك العام . والغرض من إقامة هذا المهرجان هولفت انظار العالم الغربي واطلاع المواطن الأوروبي على منجزات العالم الاسلامي وما بلغه المسلمون من التقدم الحضاري في عهودهم الزاهرة في مختلف المجالات العلمية ، والثقافية ، والهندسية ، والموسيقية ، والاجتماعية ، وما يتصل بهذه الأصول من فروع وروافد . وكذلك تعريف الفرد الأوروبي بما قدمه المسلمون للحضارة العالمية التي لا يزال بعض اصولها يرتكز على أسس وقواعد عربية اسلامية .

وقد استغرق الاعداد لهذا المهرجان حوالي ثلاث سنوات وخصص للهيئة التي تشرف على تنظيمه ميزانية تربو على اربعة ملايين دولار ، تبرعت بها المملكة العربية السعودية ، وايران ، ومصر ، والعراق ، والكويت ، وعمان ، وقطر ، ودولة الامارات العربية المتحدة . وقد أقيمت حفلة الافتتاح الأولى في قاعة البرت الملكية في لندن التي تعتبر أكبر قاعة احتفالات في العاصمة البريطانية . وحضر الحفلة الأولى ما يزيد على عشرة آلاف شخص قدموا من مختلف اقطار العالم ليشهدوا هذا الحدث التاريخي الكبير . وفي يوم الخميس ٩ ربيع الثاني ، ٨ ابريل افتتحت الملكة اليزابيث الثانية ، ملكة بريطانيا ، المهرجان رسمياً .

وفي الأيام التسعة الأولى للمهرجان عقدت اجتماعات المؤتمر الاسلامي الكبير الذي حضره عدد من كبار العلماء والمفكرين لمناقشة عدد من القضايا الاسلامية التي تهم العالم الاسلامي بصفة خاصة ، والمواطن الاوروبي والغربي بصفة عامة . وقد اشاد صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل ، في كلمة الافتتاح ، بجهود اللجنة المشرفة على المهرجان ، وقال ان هذا المؤتمر قد اعطانا فرصة لنحاول غرس وتطوير مفهوم افضل للاسلام . وقال ان قوتنا الحقيقية تكمن في ايماننا وفي مدى التزامنا بديننا وفي وحدتنا التي اساسها الدين والعقيدة .

وذكر الأستاذ سالم عزام ، أمين عام المجلس الاسلامي الاوروبي ، الذي اتخذ المبادرة لعقد المؤتمر انه يوجد في اوروبا أكثر من ٢٥ مليون مسلم ، منهم حوالي خمسة ملايين في أوروبا الغربية ، وان هؤلاء المسلمين يرغبون في



لفيف من الزوار أثناء تجوالهم بين أرجاء معارض

المشاركة في جميع المجالات الفكرية والحياتية في اطار العقيدة الاسلامية .

وكان في مقدمة كبار العلماء والمفكرين الذين حضروا المؤتمر الذي استهل المهرجان به، الدكتور عبد الحليم محمود – شيخ الجامع الأزهر ، وفخامة رئيس وزراء اندونيسيا الأسبق ، ومعالي الدكتور محمد عبده يماني – وزير الاعلام في المملكة العربية السعودية ، وعدد كبير من الاساتذة والمفكرين والمهتمين بالشؤون الاسلامية . وقد بلغ عدد الأبحاث التي قدمت في المؤتمر ٣٥ بحثاً شملت موضوعات متنوعة العلوم ، والاقتصاد ، والحكمة ، والتملك ، والميراث ، وتعدد الزوجات ، والأسرة في الاسلام ، ومفهوم العبادة ، والتوحيد ، وغير ذلك كثير .

أما من حيث توزيع برامج المهرجان فقد جرى تقسيمها إلى عدة فروع كل منها يختص بجانب من الحضارة الاسلامية ، ومن أهم هذه الفروع :

المعارض

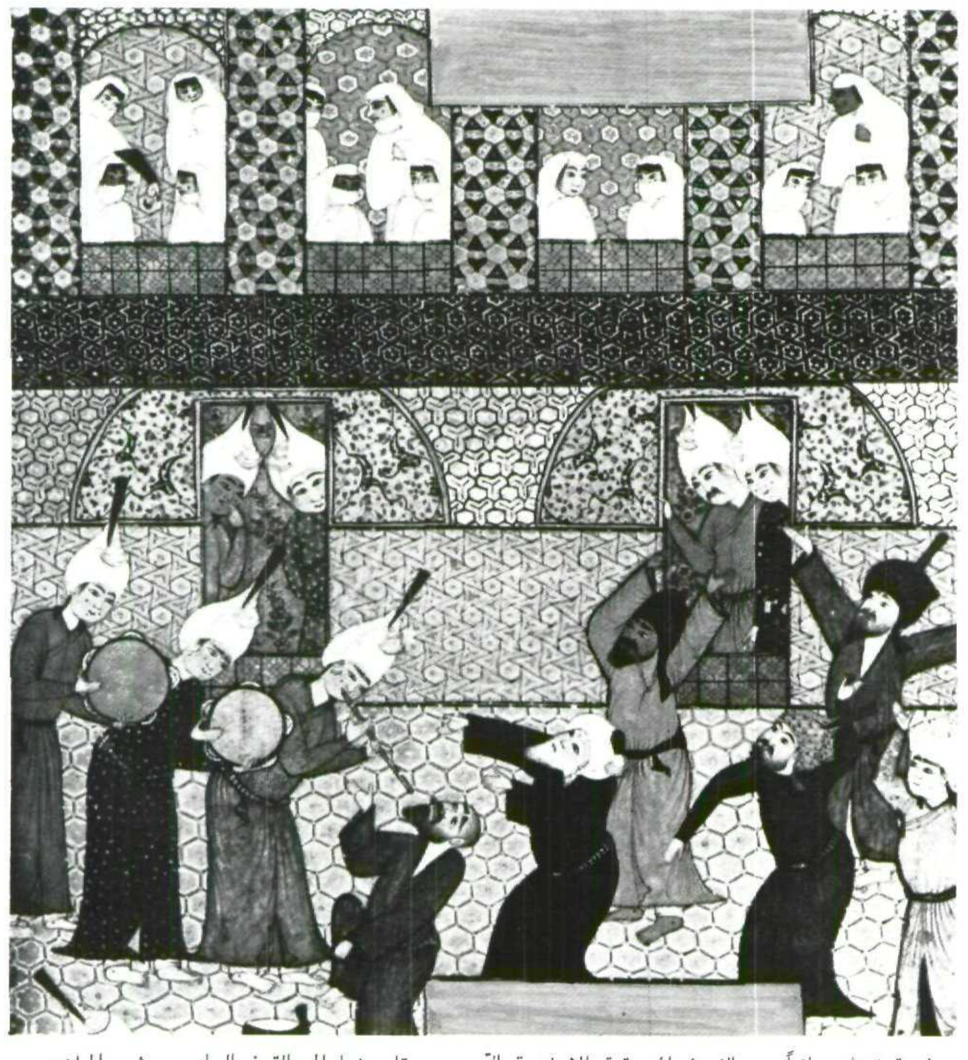
أقيم أكبر المعارض الخاصة بالمهرجان في قاعات المتحف البريطاني في لندن . كما أقيمت عدة معارض في المدن الكبرى في الاقاليم البريطانية مثل بريستول ، وادنبره ، وبرايتون ، وديرهام وغيرها . وتحتوي هذه المعارض على الفنون الاسلامية بمختلف اشكالها . مثل الفنون التشكيلية ، والخط العربي ، وفن العمارة ، والعلوم ، والطب ، والفلك ، والملاحة البحرية ، والهندسة ، والرياضيات بفروعها ، والسجاد ، والآلات الموسيقية ، والمنسوجات والأشغال المعدنية ، والحلي ، والأزياء ، ومعدات الصيد ، والتطريز ، والزخرفة ، والزجاج والمرايا وما شابه ذلك .

المحاضرات والندوات

أقيمت عدة حلقات دراسية ومحاضرات اكاديمية تحدث فيها عدد من كبار العلماء والمفكرين المسلمين وناقشوا خلالها عدداً من الأمور المستمدة من الحضارتين الاسلامية والغربية ، كما جرى حوار عام حول ذلك اشترك فيه العديد من ذوي الاهتمام والاختصاص.

الثقافة والكتب

كان معرض التعليم والثقافة عبارة عن سجل تاريخي للثقافة الاسلامية من القرآن الكريم واحاديث الرسول ، ومختارات من منجزات كبار



لوحة تمثل جانباً من الفنون الموسيقية الاسلامية التي يرجع تاريخها الى القرن السادس عشر الميلادي .

العلماء والفقهاء ، والأدباء ، والشعراء ، والفلاسفة ، والمؤرخين ، والجغرافيين .

وقد خصصت هيئة التعليم في لندن ساعة كل أسبوع من برنامجها التعليمي بواسطة التلفاز لعرض نماذج من الثقافات والعلوم ا لاسلامية .

هذا وقد خصص قسم للكتب والصور المتعلقة بالتراث الاسلامي المجيد . وكان بين المعروضات خمسة كتب ذات قيمة تاريخية مهمة . منها ثلاثة خاصة بالفنون على اختلاف أشكالها ، وواحد بالعلوم والتكنولوجيا ، وواحد عبارة عن دراسة مصورة لمدينة صنعاء في اليمن .

والكتب الخمسة مطبوعة طباعة أنيقة ومزودة بالصور الملونة المعبرة ، وعامرة بالمعلومات القيمة النافعة . فكتاب الفنون الاسلامية مثلاً يحتوي على أكثر من ٢٠٠ صورة ملونة جمعت من مختلف اقطار العالم الاسلامي . ووضعت لها شروح تبين وحدة الفن الاسلامي وتناسقه على امتداد رقعة البلاد الاسلامية . وفي الكتاب ابواب خاصة عن فن العمارة الاسلامي وخاصة المساجد مثل قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى بالقدس، والجامع الأموي في دمشق ، والجامع الكبير في مدينة القيروان في تونس ، وجامع أحمد بن طولون في القاهرة ، وغير ذلك كثير من المساجد التاريخية ذات العمارة الفنية القيمة .

وهناك أيضاً كتابان آخران ، احدهما عن الخطوط العربية المموهة بالذهب او الفضة ، والثاني عن النظريات الهندسية في الفنون الاسلامية . ويبين الكتاب الأول ان الخطوط

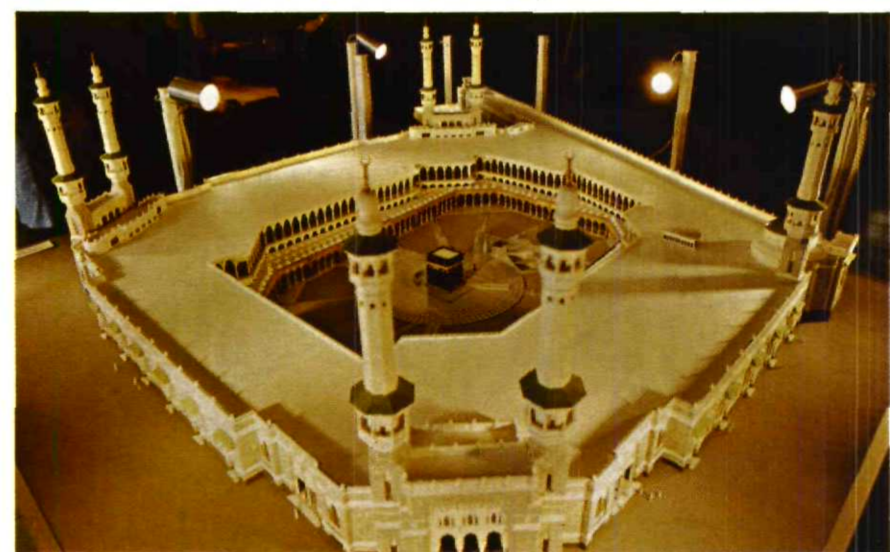
فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر ، يفتتح قاعة القرآن الكريم في مهرجان العالم الاسلامي .

معروضات من القطع المعدنية الاسلامية .





نموذج من الزخارف الاسلامية التي عرضت في قاعة هيوارد في لندن .

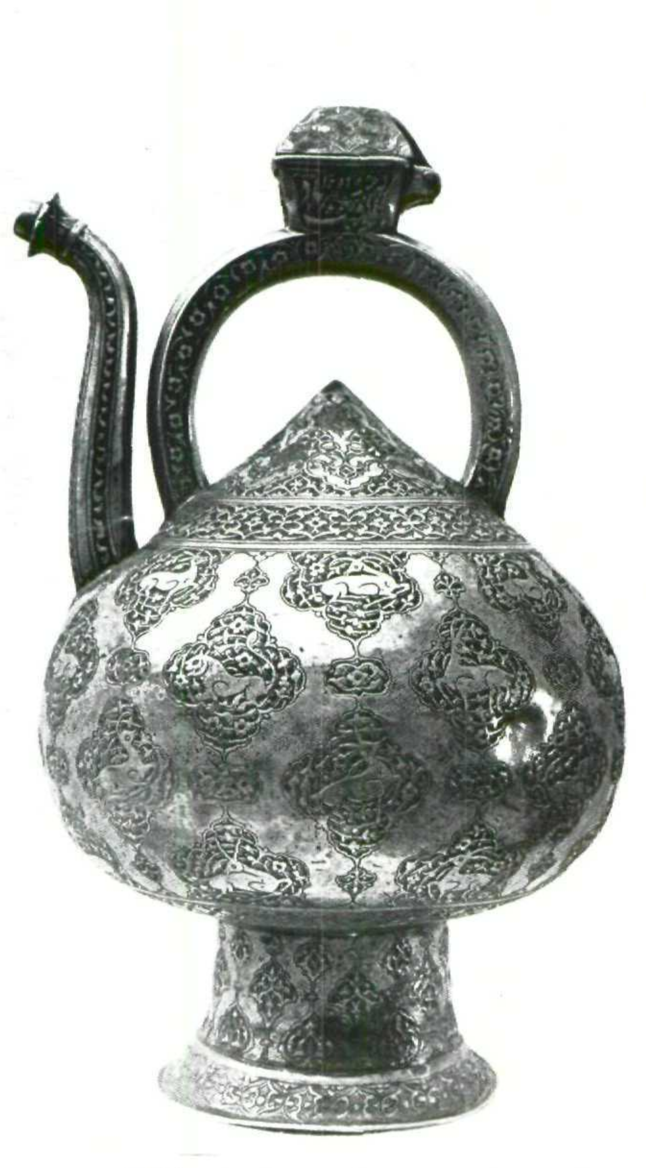


نموذج مجسم للمسجد الحرام في مكة المكرمة .

نموذج من الفنون الاسلامية التي عرضت في قاعة هيوارد .

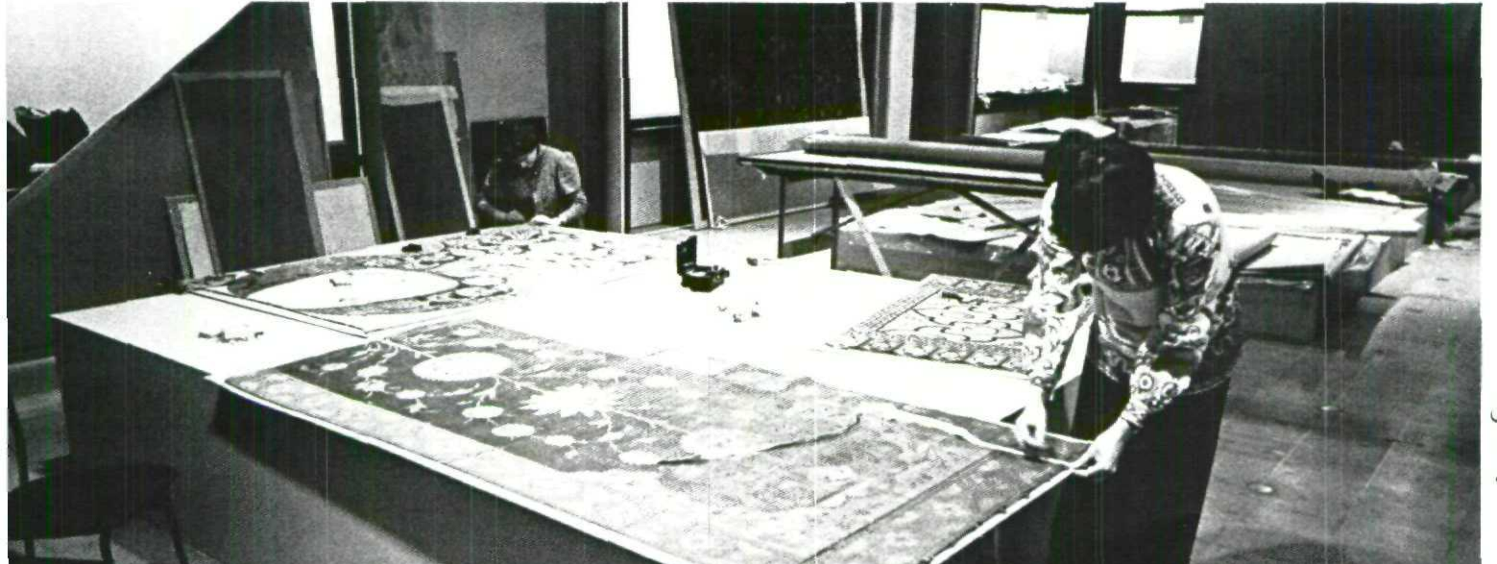


مشكاة صنعت في مصر يرجع تاريخها الى القرن الثامن الهجري .



ابريق معدني من صنع ايراني تزينه الزخارف المنقوشة .

قاعة اعداد معروضات السجاد في متحــف هيوارد للفنون الاسلامية .





العربية هي أحد الفنون القيمة الغنية بالصفات الجمالية والتناسق البديع في أشكالها على اختلاف انواعها . بينما يشرح الكتاب الثاني عدداً من النظريات والأفكار والنماذج والتصاميم الهندسية في الفن الاسلامي ، ويظهر كذلك اتصالها ووحدتها وتقاربها كفن واحد اصيل تمتد فروعه في مختلف الاتجاهات .

وهناك ايضاً معارض خاصة بالآلات الموسيقية اذ قدمت عدة استعراضات موسيقية وفنية ادتها فرق من العالم العربي ، وتركيا ، وايران ، وباكستان. هذا بالاضافة إلى عدد من الافلام التلفزيونية والسينمائية التي كانت تعرض باستمرار في القاعات الخاصة بها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المملكة العربية السعودية قد شاركت بعدد من المعروضات القيمة منها نموذج للحرم المكي الشريف ، وآخر للحرم النبوي في المدينة المنورة ، وكلاهما بقياس ١ــ ١٥٠ ، ونموذج لقصر المصمك ، وخريطة مجسمة لدرب زبيدة التاريخي الذي يمتد من بلاد الرافدين إلى الحجاز ، ونموذج مجسم لمدينة الدرعية التاريخية ، هذا بالاضافة إلى مجموعة من الصور والأفلام التاريخية والتسجيلية التي تبين عدداً من الآثار ونماذج من الحضارات في الجزيرة العربية .

هذا وتقدر الأعمال الفنية التي حوتها المعارض بما يربو على ٢٥٠٠ عمل فني جيء بها من أكثر من ٣٠ قطراً من مختلف انحاء العالم . وتبين هذه الأعمال مختلف ذخائر الاسلام من حضارة علمية وفنية وثقافية وفكرية . ومن أهمها ما عرض في القاعة التي خصصت للفن الاسلامي واحتوت على ٦٥٠ عملاً فنياً و ١٢٥ مجموعة نفيسة احضرت من مختلف المتاحف في العالم الاسلامي .

وقد أقيم جناح خاص للبادية . فنصبت خيمة احضرت خصيصاً من الأردن . وجمع فيها وحولها ما يستخدمه ابن البادية من معدات وادوات واثاث تناسب الحياة البسيطة التي يعيشها . .

وكان من بين ما لفت أنظار الزائرين للمعرض ما حوته قاعة « هيوارد » التي خصصت للفنون



أحد المعروضات التي شملها متحف العلوم والتكنولوجيا الاسلامية .

ثلاثة من المختصين بالموسيقى يعدون معرض الآلات الموسيقية الاسلامية قبيل افتتاح المهرجان .



مجموعة من الزوار في قاعة القرآن الكريم .

صورة تبين عملية ترميم مسجد أثري في اليمن .





الملكة اليزابث عند افتتاحها أحد أجنحة مهرجان العالم الاسلامي في لندن .



فتاة تصلح آلة موسيقية قبيل عرضها في متحف هورنيمان .

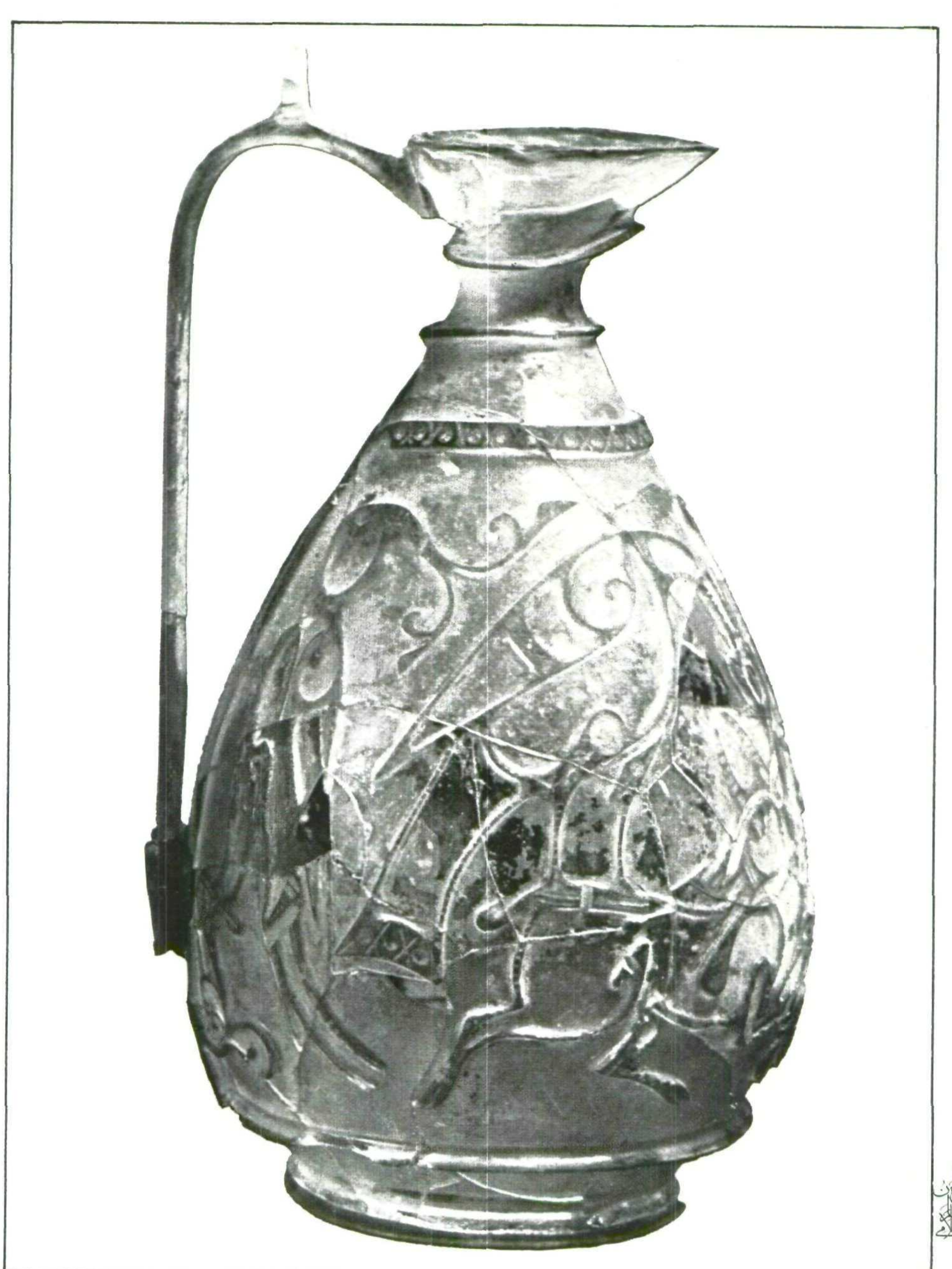
الاسلامية . فقد كانت المعروضات على مستوى رفيع من الانسجام والتناسق . وكذلك ما احتواه معرض العلم والتكنولوجيا الاسلامية الذي أقيم في قاعة متحف العلوم البريطاني ، وقد اشتمل على نماذج من الأدوات والمعدات الطبية والفلكية ، ونماذج من المعادلات الجبرية التي تبين الأثر الاسلامي الخالد في هذا المجال العلمي ، والشأو الذي بلغه العرب والمسلمون في عصورهم الزاهرة .

وقد نشرت الصحف والمجلات البريطانية والاوروبية مقالات متنوعة عن هذا المهرجان بعضها عام وبعضها خاص . ومن الصحف ما نشرت ملحقاً خاصاً ضمنته صوراً مختلفة للمعروضات .

وفي ختام جلسات المؤتمر الاسلامي ، التي استهل بها المهرجان واستمرت تسعة أيام ، اكد المؤتمرون على ضرورة العمل على اقامة رباط من التفاهم بين المسلمين والجماعات الأخرى في العالم أجمع ، لاقامة نظام عالمي قائم على العدل والمساواة والسلام . كما أعلن المؤتمر عن تشكيل لجنتين لمعالجة المشاكل التي تواجه المسلمين في أوروبا . وستختص احداهما بالأمور التي تتعلق بالتعليم الاسلامي لاطفال المسلمين المقيمين في أوروبا ، بينما تختص الثانية بمعالجة المشكلات التي يلاقيها المسلمون الذين يهاجرون للعمل هناك . كما أشاد المؤتمر بجهود الجهات التي أشرفت على تنظيم المهرجان الأمر الذي سيؤدي ، ولا شك ، إلى التعريف بالحضارة الاسلامية ، وإلى توثيق عرى التضامن بين المسلمين في جميع أنحاء العالم .

وقد دعا المؤتمر في قراراته إلى عقد المزيد من هذه المؤتمرات والاجتماعات العالمية الاسلامية وكذلك إلى تأليف لجان تساعد على اقامة مؤسسات اقتصادية واجتماعية وثقافية تحقق اماني المسلمين وتطلعاتهم إلى مستقبل أفضل ●

ابراهيم احمد الكشطي — هيئة التحرير



مجموعة من الأواني النحاسية المزدانة بالنقوش الاسلامية .

نموذج للاسطرلاب العربي الذي يعد من أهم أدوات الملاحة البحرية القديمة .



جانب من المعروضات التي احتوتها قاعة هيوارد .

زوار للمتحف في طريقهم الى قاعة القرآن الكريم .



جانب من قاعة المكتبة البريطانية في لندن وهي تضم مجموعة من كتب الحضارة الاسلامية .

آنية نحاسية مزدانة بالنقوش الاسلامية .

نماذج للآلات الموسيقية التي عرضت في متحف هورثمان في لندن .

العجوز العاشق وابنته

هو : أبنيتي ما الحب ! ؟

هي : قـــالــت : رعشـــةٌ ... في القلــب تــأتي ساعـــةً وتغيبُ
فـــاذا تـــوالتْ فـــي المجيء فإنهـــا ... نـــارٌ تؤجـــج في الحشا ولهيـــبُ

هو : واذا الفـــتى بنتـــاه شاخ لتـــوّه ... ورماه سهمُ الحب ، كيف يُجيبُ ! ؟
أيصـــدّ عنــه الشوقَ رغـم حنينه ! ؟ ... أتـــراه يُخفقُ ! ! ام تراه يُصيب ! ؟

هي : أبتـــاه ان الحـــبّ بحـــرٌ زاخـــر ... بالمـــذهـــلات وبعضُهـــن غريبُ !
ومن المصيبـــة ان يظلّ هـــوى الفـــتى ... يكْـــوي الضلـــوعَ بنـــاره ويُذيبُ !

هو : أبنيـــتي ، يـــا أختَ روحـــي ، إن ما ... بـــين الضلوع مـــؤرقٌ وحبيـــبُ !
إنـــي أحسّ بخـــافقـــي متحفزاً ... ويكـــاد يرقص للصّبـــا ويـؤوبُ !

هي : لهفـــي عليك أبـــي ، حذار مـــن الهوى ... أخشى يُصيبُكَ في الهـوى تثريبُ !
وتميـــلُ عنك البيضُ ان جُنّ الدّجى ... والسمـــرُ تُحجِـــمُ ، فالمشيبُ مهيبُ !

هو : لكنـــني بنتـــاه مكلـــومُ الحشـــا ... جَـــمّ العواطفِ خافقي مشبـــوبُ !
لهفـــي على عهْـــدِ الصّبـــا مضيّتُـه ... خلـــو الفؤادِ ، أردّه فيثـــوبُ !

هي : أخشى عليك أبـــي تباريـــحَ الهـــوى ... فالحب مـــن بعـــد المشيب عَصيبُ !
أخْشى عليـــك ملامـــةً من شامتٍ ... جافَـــاه من خُلُقِ الكرامِ نصيبُ !

هو : والحـــلّ ! ؟ وا لهفي عليـــك بنيّـــتي ! ... أيصـــدُ عـــن دربْ الهـــوى ترهيبُ ! ؟
أتـــودني « ليلـــى » وارفـض ودّهـــا ... وأضيـــقُ ذرعـــاً والمقامُ رحيـــبُ ! ؟

هي : إحـْـذَرْ أبـــي ، فالحبّ مهـــرٌ جامـــحٌ ... مـــا راض خيـــلا في الفـــلاة الشّيبُ !
الحبّ يا أبـــتي ينـــوءُ بحملـــه ... كهـــلٌ يشوبُ جبينَـــهُ تقطيـــبُ !
الحبّ يـــا أبـــتي صـــراعٌ دائـــمٌ .. ... صعبٌ ، مريرٌ ، مُهلـــكٌ ورهيـــبُ !
اثنـــان يشْقى كـــلّ مـــن يرجوهُما : ... حـــبّ المليحـــةِ والصديـــقُ الرّيبُ !

ابراهيم أحمد الشنطي – الظهران





المدرسة النظامية

كان انشاء نظام الملك (٤٠٨–٤٨٦ هـ) وزير السلطان السلجوقي ملكشاه للمدرسة النظامية ببغداد وللمدارس النظامية الأخرى في غيرها من مدن الخلافة العباسية في المشرق نقطة انطلاق بالغة الأهمية في ميدان التعليم العالي في الاسلام. لقد استهل تأسيسها عهداً جديداً صار فيه انشاء المدارس ثمرة سياسة تعليمية توخى بها اصحابها تحقيق اهداف سياسية واجتماعية ودينية محددة، وصارت المدارس خلاله تحمل سمات تميزها عما سبقها من المدارس التي اتى على ذكرها الكتاب والمؤرخون المسلمون كابن خلكان والسبكي وابن جماعة والمقريزي وغيرهم.

كان صاحب السياسة الجديدة هو السياسي اللامع نظام الملك الذي تولى ادارة دفة الامور في الدولة السلجوقية طيلة عشرين سنة. ويجمع من ترجموا له انه كان يحب العلم ويقدر أهله ويغدق عليهم من احسانه. يقول ابن الجوزى:

« واما النظام فان سيرته بهرت العقول جوداً وكرماً وحشمة واحياء لمعالم الدين. فبنى المدارس ووقف عليها الوقوف، ونعش العلم واهله، وعمر الحرمين.. فكانت سوق العلم في أيامه قائمة، والعلماء مستطيلين على الصدور من أبناء الدنيا. وما ظنك برجل كان الدهر في خفارته لأنه كان قد أفاض من الانعام ما أرضى الناس. وإنما كانوا يذمون الدهر لضيق ارزاق واختلال احوال، فلما عمهم احسانه امسكوا عن ذم زمانهم .. »

ويذكر ابن خلكان ان مجلسه كان عامراً بالفقهاء والصوفية وانه كان اذا سمع الاذان امسك عن جميع ما هو فيه، وانه كان اذا قدم عليه إمام الحرمين ابو المعالي وابو القاسم القشيري صاحب الرسالة بالغ في اكرامهما واجلسهما في مسنده، ويضيف ابن خلكان بأن نظام الملك سمع الحديث واسمعه وانه كان يقول:

« اني لست أهلاً لذلك، ولكني أريد ان اربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فلا عجب لمن كانت له تلك السيرة ان يقيم تلك الصروح للعلم والعلماء. لكن من الواضح ايضاً ان نظام الملك استهدف كذلك الانتصار للسنة لكسب تأييد العلماء والفقهاء للدولة من جهة، لتمكينها وتمكين الدولة من الصمود في صراعها مع الفرق والدول المناوئة لهما من جهة أخرى. ويروي ابن الاثير ان نظام الملك قال للسلطان السلجوقي ألب أرسلان:

« قد جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطيء وهم العلماء والزهاد. فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم أعوانك »

لكانت المدارس فضلاً عن هذا خير مصدر يمد الدولة بالعلماء والقضاة والكتاب ممن تفقهوا في الدين وتمكنوا من اللغة وآدابها ونشأوا على الولاء للدولة.

وتميزت المدرسة النظامية ببغداد ومثيلاتها في المدن الأخرى بأنها كانت مؤسسات رسمية تجري على نظام رسمته الدولة ويقضي بتقدير معاليم (مصروفات) خاصة للطلبة وللاساتذة والمشتغلين بها تدفع من اوقافها. فقد اسست مدارس من قبل ولكن المؤسسين كانوا افراداً او جماعات من الشعب، لا صفة رسمية لهم. ففي القرن الرابع الهجري شيد الامام ابو حامد البستي مدرسة في بلده بست، وجعل فيها خزانة كتب ومساكن للطلاب وخصص مبالغ مالية وارزاقاً للغرباء من طلاب العلم فيها ووقف كتبه عليها ليطالعها الناس. وفي تلك الفترة ايضاً، بنى الشافعيون بنيسابور مدرسة ليدرس فيها الامام النيسابوري. ويمكن ان نضيف إلى هاتين المدرستين عدة مدارس أخرى أتى على ذكرها الكتاب والمؤرخون مثل السبكي وابن جماعة وابن خلكان وغيرهم.

بغداد

بقلم: الدكتور محمود زايد

لكن يبدو أن أمر انشاء مدارس على طراز النظامية لم يتم دون معارضة . فحاجي خليفة صاحب كشف الظنون يذكر ان علماء ما وراء النهر عارضوا السياسة الجديدة التي تقضي بتقدير المعاليم للطلبة فيقول انهم :

« أقاموا مأتم العلم وقالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم . وإذا صار عليه اجرة تدنى اليه الاخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه ومن ههنا هجرت علوم الحكمة وان كانت شريفة لذاتها » .

وكانت المدارس النظامية اولى المدارس التي اشترط في شيوخها وطلبتها ان يكونوا من الشافعية . يقول ابن الجوزي :

« وفي كتاب شرطها انها وقف على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً وكذلك الاملاك الموقوفة عليها شرط فيها أن يكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً . وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب . . . »

وعليه فقد كان على من يطمح إلى التدريس فيها من اتباع المذاهب السنية الأخرى ان يتحول إلى مذهب الشافعي كما حدث للمبارك الملقب بالوجيه النحوي . يذكر ياقوت الحموي في ترجمته انه كان حنبلياً ثم حنفياً وتحول بعد ذلك إلى مذهب الشافعي ليتولى تدريس موضوع النحو بالنظامية ، فقال فيه المؤيد ابو البركات التكريتي وكان أحد تلامذته :

ومـــن مبلـــغ عني الوجيـــه رسالـــة
وان كان لا تجـــدي اليـــه الرسائل


فاذا رد العصير نصفه فهذا الشراب موافق لوجع الحلق وللجنب
وليس له غايلة موافق للمثانه والكلا
صنعة شراب للنزلة والسعال

تمـــذهبت للنعمـــان بعد ابن حنبل
وذلك لمـــا اعوزتك المـــآكـــل
ومـــا اخترت قـــول الشافعي تدينـــا
ولكنما تهـــوى الذي منـــه حاصل
وعمـــا قليل انت لا شك صـــائـــر
إلى مالك فافطـــن لمـــا أنـــا قائل

ويذكر السيوطي ان أبا القاسم الدباس النحوي (توفي ٦٠١ هجرية) الذي تولى الاشراف على كتب النظامية ببغداد كان حنبلياً ثم تحول شافعياً اشعرياً .

على ان نظام الملك كان يحرص على عدم تشجيع الخلاف بين المذاهب السنية . كتب مرة إلى ابي اسحق الشيرازي يقول :

« ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدالة إلى أن تميل في المذاهب إلى جهة دون جهة . ونحن بتأييد السنن اولى من تشييد الفتن . فلم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة اهل العلم والمصلحة لا للاختلاف وتفريق الكلمة . ومتى جرت الأمور على خلاف ما اوردناه من هذه الأسباب فليس الا التقدم بسد الباب . »

بديء بتأسيس النظامية ببغداد عام ٤٥٧ هجرية وانتهى العمل ببنائها عام ٤٥٩ هجرية . وفي عام ٤٦٢هـ قرئت كتب وقف المدرسة التي شملت الضياع والكتب والأسواق . وعين لوقوفها ناظر يشرف عليها . وكان من كتاب وقوفها ابو البركات محمد بن القاضي ابي الحسين هبة الله (توفي عام ٥٩٨هـ) .

والحقت بالمدرسة مكتبة عظيمة كان كشافها على حد قول ابن الجوزي يضم ستة آلاف مجلد . واقبل الأمراء والعلماء وأهل الخير على وقف الكتب عليها من كل صنف . ومما اهداه نظام الملك اليها « كتاب غريب الحديث » لابراهيم الحربي ويقع في عشرة مجلدات . وفي القرن السابع للهجرة اوقف عليها محب الدين النجار صاحب « ذيل تاريخ بغداد » خزانتين من الكتب قيمتها الف دينار . وكان يعين للاشراف على الكتب واحد من المشتغلين بها . وممن شغل هذا المنصب ابو القاسم الدباس النحوي وابن داوود الواسطي .

وكان أول مدرس عين للتدريس بنظامية بغداد فقيه من المع رجال عصره واشهرهم ،وهو ابو اسحق الشيرازي إمام عصره ومقصد طلبة العلم من كل الأمصار . وكان مقرراً أن يحضر حفلة افتتاح المدرسة يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وخمسمائه ولكنه لم يحضر . وطلب فلم يوجد . ويروي ابن الأثير ان شخصاً لقي الشيرازي فقال له : كيف تدرس في مكان مغصوب ؟ فتغيرت نية الشيرازي عن التدريس بها . فعيّن بدلاً منه أبو نصر عبد السيد بن الصباغ الذي كان أيضاً من أعلام عصره . ويقول فيه ابن خلكان :

« كان فقيه العراقين في وقته . وكان يضاهي الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ، وتقدم عليه في معرفة المذهب . وكانت الرحلة اليه من البلاد . وكان ثقة حجة صالحاً . ومن مصنفاته « الشامل » في الفقه وهو من أجود كتب اصحابنا ومن أصحها نقلاً واثبتها ادلة . وله « تذكرة العالم » و « الطريق السالم » و « العدة » في أصول الفقه .

لكن يبدو ان اصحاب الشيرازي وطلبته لم يرضوا عن موقفه . وازاء ضغطهم عليه والحاح نظام الملك على تعيينه عاد فقبل التدريس بها . ويفخر سجل المدرسة النظامية بعدد من ابرز الفقهاء والأدباء مثل ابي اسحق الاسفرائيني والغزالي وابي منصور الجواليقي النحوي اللغوي واردشير بن منصور العبادي . وتخرج على أيدي هؤلاء عدد من ألمع الطلبة الذين برزوا في مختلف فروع العلم .

وكانت للمدرس بالنظامية مكانة كبيرة لدى الخلفاء والسلاطين وعامة الناس . فكان الوزراء وكبار رجال الدولة يحضرون دروسهم احتراماً لهم وتشجيعاً للعلم . ففي عام ٤٩٨هـ قصد الوزير سعد الملك المدرسة وحضر تدريس الكيا الهراسي . ويذكر ابن الجوزي في حوادث عام ٤٨٦ ان النساء استمعن إلى ارد شير بن منصور العبادي وذلك خلال الفترة التي كان الغزالي يدرس فيها بالمدرسة . وكان بين من استمع اليه الغزالي نفسه .

وكان يحدث ان يكلف المدرس بالقيام بمهمات سياسية . ففي عام ٤٧٥ هجرية حمل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا اسحاق الشيرازي رسالة إلى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد ابي الفتح ابن ابي الليث . وكلف كذلك أبو محمد البغدادي البادرائي عام ٦٥٥هـ بحمل الرسائل إلى ملوك الاطراف. وفي عام ٥٩٨ توجه الشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع مدرس النظامية رسولاً إلى شهاب الدين صاحب غزنه .

وكان المدرس يعين بتوقيع من الوزير أو من السلطان أو الخليفة. فنظام الملك هو الذي عين الشيرازي وعدداً غيره من المدرسين . وعين ابن الطبري مدرساً بتوقيع من السلطان نفسه ، وكذلك كان تعيين ابن الباقرحي عام ٥١٧ هجرية . وفي عام ٥٤٥هـ أصر احد مدرسي النظامية على استخراج اذن له من الخليفة فأذن له .

ويستنتج من المراجع ان تعيين المدرس كان يتم في احتفال يحضره كبار رجال الدولة ويخلع عليه اهبة سوداء وطرحة كحلية كما حدث لمجد الدين يحيى بن الربيع عام ٥٩٨هـ . وكان يدخل المدرسة بطرحة حتى إذا عزل توجه إلى داره بغير طرحة .

وكان الفقهاء والطلبة يعارضون أحياناً في تعيين المدرسين . ففي عام ٥١٧ هجرية تصدى الفقهاء لابن الباقرحي الذي كان قد حصل على كتاب من السلطان سنجر بتعيينه مدرساً ومنعوه من التدريس . ولكن الديوان الزمهم متابعته .

ومن اخطر التهم التي كانت توجه إلى المدرس هي الباطنية كما حدث للكيا الهراسي عام ٤٩٥هـ رفع عنه إلى السلطان محمد بأنه باطني فأمر بالقبض عليه . لكن تقدم من شهد له بأنه لم يكن كذلك فأنقذه .

وكانت هيئة التدريس تشمل المدرسين ومن ينوب عنهم والمعيدين . وفي البدء عين لها مدرس واحد ولكن العدد ازداد فيما بعد . ولم تكن وظيفة المدرس او المعيد تختلف عما هي عليه في الوقت الحاضر : يلقي المدرس محاضرته ثم يعيدها المعيد مع الشرح . ونحن مدينون للرحالة ابن جبير الذي وصف لنا احدى المحاضرات التي استمع اليها في النظامية ، يقول :—

« فأول ما شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية . حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور . فصعد المنبر واخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة . فتوقوا وشوقوا واتوا بتلاحين عجيبة ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في افانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل وايراد حديث رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها فجمعها جملة في يده ، وجعل يجاوب عن كل واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها . »

ولا ندري بالضبط متى وكيف توقف العمل بالنظامية ولا كيف اندثرت مبانيها . لقد استطاعت ان تستمر في عملها بعد الغزو المغولي وسقوط بغداد عام ١٢٥٨م (٦٥٦هـ) . ويذكر أحمد شلبي في بحثه القيم عن تاريخ التعليم في الاسلام ، انه لم يجد ذكراً للنظامية في المراجع التي تيسر له الاطلاع عليها بعد الفيروز ابادي الذي كان معيداً بها وتوفي عام ٨١٧هـ . ويضيف إلى ذلك انه يعتقد بأنها زالت في أوائل القرن التاسع الهجري ، وذهبت ضحية الكوارث التي حلت ببغداد من جراء الحروب وان الحكام ، بدافع من حاجتهم إلى المال ، استولوا على اوقافها ولم يكترثوا باعادة العمل بالمؤسسة .

ومع أنه ليس من السهل علينا ان نقدر تماماً مدى تأثير النظامية في تاريخ التعليم في الاسلام ، يمكننا القول بأنها لعبت دوراً كبيراً في حفز أصحاب الهمم على انشاء مؤسسات مماثلة ، وان خريجيها اسهموا اسهاماً عظيماً في تشجيع التعليم ، وفي الدراسات الفقهية والتاريخية واللغوية ، وانها كانت من العوامل التي شجعت على انشاء المدارس الكبرى في سوريا ومصر في ظل السلاجقة والأيوبيين والمماليك ■

د. محمود زايد — بيروت

قصة من التاريخ اليوناني القديم

بقلم: الأستاذ عزت محمد ابراهيم

هيلين طروادة

استيقظ « مينيلاوس » ذات يوم وقد استبد به غضب جامح لا سبيل إلى كبح جماحه . فلقد اصبح واذا بـ « هيلين » قد خلا منها قصره ، وقد كانت ملء السمع والبصر ، وبهجة العين ، ومهجة الفؤاد ، ومن غير « هيلين » يملأ السمع والبصر ، ويشيع البهجة في العيون والقلوب ؟ وليس في بلاد الاغريق كلها من يفوقها جمالاً وبهاء ، وحسناً ورواء ، ودم شباب يترقرق في أديم انسان.

وليت « هيلين » قد اختطفتها يد المنون إذن لخف الخطب ، وهان البلاء ، ولقضى « مينيلاوس » بقية حياته في حزن دائم لا ينقطع ، ولخلد ذكر الزوجة الوفية ، وأشاع الحديث عنها ، حتى تسير بذكره الركبان ، وما كف عن التغني بحبها الذي ورفت له ظلال ، ولكن يد المنون لم تخطف « هيلين » ، وانما اختطفها نذل جبان ، خان الأمانة ، وقابل كرم الوفادة بالجحود والنكران ، واوقع « هيلين » في حبائله . وسلب لبها بمعسول كلامه حتى وقعت في شراكه ، فانقادت اليه انقياد الأعمى بغير تفكير أو تدبير .

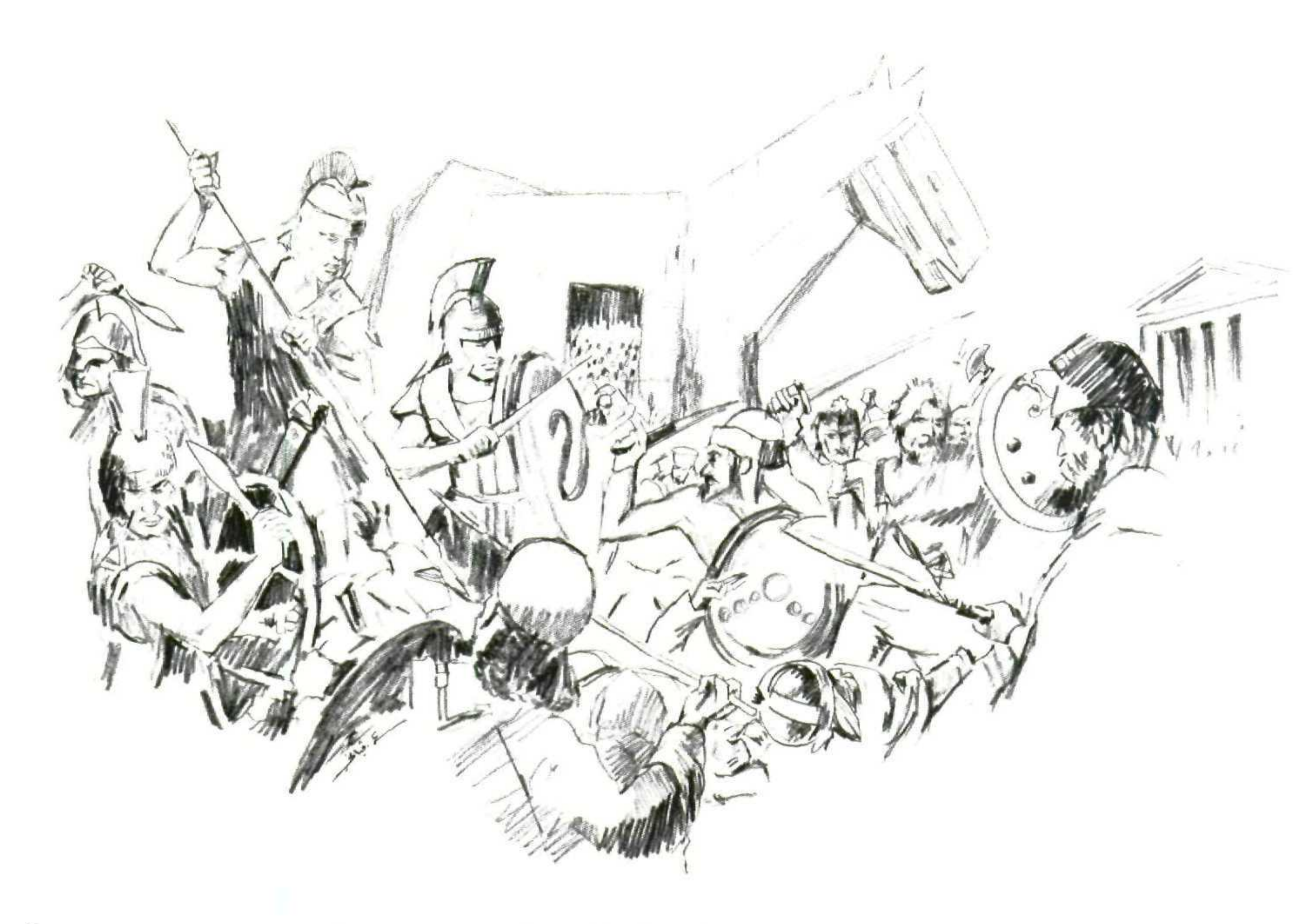
فويل اذن لـ « باريس بن بريام » ليدفعن الثمن غالياً ، وليثر غبار النقع بين « اسبرطة » و « طروادة » ولترتو ارض المعارك بدماء لا تنقطع ، او تعود « هيلين » إلى « اسبرطة » وسيد « اسبرطة » . وفزع « مينيلاوس » إلى أخيه « أجاممنون » يشكو له همه ، ويبثه لواعج نفسه ، ويستمد منه العون وشد الازر على ما نزل بساحته من بلاء .

وما كان « أجاممنون » في حاجة إلى اثارة همة ، أو بعث نخوة ، فلم يكد يتطاير إلى سمعه النبأ ، حتى استشاط له غضباً، وما هي الا اشارة بنان حتى كانت الجيوش يعج لها عجيج ، وتدوي لها أصوات كأصوات الرعود المتتابعة ، وقد قادها إلى حومات الوغى أبطال صناديد ، طالما تحدث الاغريق عن بطولاتهم ، في ميادين الحرب وساحات القتال . وما كان في حسبان الاغريقيين وتقديرهم أن تدوم الحرب طويلاً وإنما كان في حسبانهم وتقديرهم ان يعجل لهم بالنصر ، وان تمد لهم اسبابه سهلة ميسرة ، ولكن الحرب دامت واتصلت سنين عديدة ، مضى منها سنوات تسع وهي سجال بين الفريقين ، ينتصر هذا تارة ، وينتصر ذاك تارة اخرى ، ويغنم فريق المغانم والاسلاب مرة ليخسر مثلها أو يزيد مرة اخرى ، ولكن الكفة لا ترجح لفريق على فريق كل الرجحان في حال من الأحوال .

وشجر بين « أجاممنون » و « أشيل » خلاف ، فشق « أشيل » عصا الطاعة ، ونأى بنفسه عن ميدان الحرب ، وأحدث نأيه اضطراباً وانقساماً بين معسكر الاغريقيين ، وسرت همهمة تنحي على « اجاممنون » باللائمة ، وتعود عليه باللوم والتثريب ، فما كان ينبغي له ان يثير غضب « اشيل » من أجل غنيمة او مسلبة ، وهو القائد المغوار الذي لا يشق له غبار ، والذي تتيه به « اسبرطة » فخراً واعتداداً .

وكاد « اجاممنون » يجمع امره على العودة راضياً من الغنيمة بالاياب ، لولا ان ارتفعت اصوات بمجد لـ « اسبرطة » ينبغي ان يظل رفيع العماد ، وبوصمة عار الحقت بها ، لا تزول الا بزوال مسبباتها .

وبقي الجيش على كره من « اجاممنون » ليعد العدة لهجمة شديدة على حصون « طروادة »



لعلها ان تحقق له مبتغاه ، وعادت الحرب تدور رحاها شديدة عنيفة ، قوية مدمرة ، يموت في ساحتها الابطال الصناديد من كلا الفريقين ، ثم لا يبدو في الأفق علامات نصر مؤكد لفريق على فريق .

ورأى العقلاء ان الحرب ما اشتعل اوارها الا بسبب فعلة « باريس » الشنعاء ، وعمله الأخرق البغيض ، فليلتق هو وغريمه « مينيلاوس » في ساحة الوغى ، وليتقاتلا قتالاً يحسم المعركة ، ويقرر المصير .

وتهيأ المحاربان العتيدان للنزال ، وتقابلا وجهاً لوجه ، يتطاير من أعينهما الشرر ، ويمتلىء قلباهما بالحقد الاسود المرير الذي لو ترك وحده لأشعل ناراً مستطيرة ذات لهب حارق .

وكادت الدائرة تدور على « باريس » لولا ان هبت « افروديت » إلى نجدته فحملته في خفية إلى حيث تنأى به عن الخطر الذي كاد يحدق به ، وتطلع « مينيلاوس » يبحث عن غريمه ، فاذا به اثر بعد عين ، وصاح « اجاممنون » صيحة الظفر والانتصار ، فها هو « باريس » قد فر فرار الجبان ، كما كان قد اختطف « هيلين » اختطاف الجبان ، وحق للاغريقيين بعد ذلك أن يكون لهم النصر المؤزر ، والفوز المبين ، وان ترد لهم « هيلين » وفاء بالعهد المقطوع ، ولكن سهماً نافذاً ينطلق إلى « مينيلاوس » فيصيبه بجرح بالغ ، فيستأنف الفريقان القتال ، فقد نقض الطرواديون عهدهم ، ونكثوا بما اخذوا على أنفسهم من وعد وميثاق .

وجعل « اجاممنون » يحث أبطاله وجنوده على اقتحام الوغى ، فلبوا نداءه ، وأبلى « ديوميديس » في هذه الكرة خير بلاء ، فاكتسح جند « طرواده » حتى كان الرجال يدبرون أمامه ادبار الخائف الوجل الذي يريد اللياذ بالنجاة ويلتمس لها كل سبيل . وانسل « هكتور بن مريام » من الميدان ، وفي قلبه حزن ممضّ ، وظل يبحث عن أخيه « باريس » سبب كل هذا البلاء ليجده جالساً إلى جانب « هيلين » يبثها لاعج الغرام ، كأنما لم تقم هذه الحرب بسببه ، وكأنما لا تكتسح مناجل الموت قومه من جراء فعلته النكراء ، وما زال به يزجره ويعنفه ، حتى اضطره إلى حمل دروعه ونباله وتقلد سيفه ليشارك فيما يشارك فيه الطرواديون من دفاع عن مدينتهم ، وما كاد يفرغ من زجره وتعنيفه حتى أتاه نبأ ينبئه بهزيمة الطرواديين ، وتقهقرهم أمام أعدائهم ، فهب إلى النجدة مسرعاً وقد لحق به أخوه « باريس » مستجيباً لندائه ، يظهر الندم على تقاعسه وتخاذله .

وجعل الاغريقيون يتساقطون أمام نبال « هكتور » و «باريس» تساقط الثمر الذابل قد هزته ريح عاتية ، وانتشى هكتور بنشوة النصر ، فوقف في حومة الوغى يطلب الأنداد الأبطال ، مبارزين محاربين ، يتصدون له فيكون النصر للغالب منهم ، حقناً لهذه الدماء المراقة ، ورغبة في انهاء هذه الحرب التي امتدت وتشعبت ، وتوالت السنون ، وهي لا تزال على حالها مستعرة مشتعلة . واستمع الاغريقيون إلى نداء « هكتور » في صمت ووجوم ، فمن ذا الذي يقدر على التصدي لهذا البطل الصنديد الذي كان « أشيل » نفسه يرهبه ويتقيه ، ويتحاشى لقاءه في ميادين القتال .

وتتطلع « مينيلاوس » حوله لعله يجد واحداً من أبطاله يتقدم لمنازلة « هكتور » فما وجد غير الوجوم المخيم ، وغير الصمت المطبق

والتواري عن الأنظار الذي ينبيء عن الخزي والعار ، فرماهم بالجبن والخور ، وهمّ هو بملاقاة « هكتور » ، لم يمنعه من ذلك الا أخوه « اجاممنون » الذي حال بينه وبين ما استقر عليه عزمه . وبدأت النخوة يدب دبيبها في نفوس الاغريق ، فلم يتقدم إلى المنازلة والمصاولة واحد او اثنان فحسب ، وإنما تقدم تسعة ، واقترعوا فيما بينهم ، فكان الاقتراع من نصيب « اجاكس » العملاق المرهوب الجانب الذي ما كاد يظهر أمام المحاربين حتى القى في قلوبهم الرعب ، واشاع بينهم الخوف والاضطراب ، وكاد « هكتور » يحس بوادر الضعف والخور في نفسه لولا أن اعتصم بجنان قوي ، وقلب جريء ، لم يعهد الناس فيه خوفاً ولا ضعفاً .

والتقى البطلان التقاء اسدين يروم كل منهما الفتك بصاحبه فلا يدعه الا اشلاء ممزقة تنتظر جوارح الطير تنشب فيها مخالبها .

ومضى النهار بطوله ، وما نال احدهما من غريمه شيئاً ، وارخى الليل سدوله ، فكان عليهما أن يطمئنا إلى شيء من الراحة بعد الجهد والعناء ، وقد اقر لهما الفريقان بالبطولة والقوة ، فاذا انجلى الليل ، وجعل ضوء النهار يتسلل فوق السهول المنبسطة رويداً رويداً ، عاد القتال قوياً عنيفاً بين الفريقين ، وجعل « هكتور » يختال في الميدان رائحاً غادياً يوزع برمحه وسيفه كؤوس الردى والمنون بين جيش الاغريق ، حتى كاد ان يلجئهم إلى سفنهم ، يلوذون بها ، ويفرون إلى بلادهم حذر الفناء المهلك ، والدمار الذي لا يبقي ولا يذر .

ولا منجاة للاغريقيين من الهزيمة وعارها ، والفرار وخزيه ، الا اذا خاض « اشيل » غمار هذه الحرب ، وان رؤيته في ميدانها لكافية وحدها لاقتلاع كل امن واطمئنان من الطراوديين ، وزرع كل رهبة وخوف في نفوسهم ، وقد آلى « اشيل » على نفسه الا يخوض معركة من معارك هذه الحرب الا اذا اقترب الطرواديون من سفنه الجاثمة على شاطيء البحر ، وهاهم أولاء قد أصبحوا منها قاب قوسين أو أدنى .

وتسعى الرسل إلى « اشيل » تحمل اليه الطرف الغالية والهدايا الثمينة ، مستنهضة الهمة ، مستثيرة النخوة ، معتذرة عما كان من اساءات سلفت ، ولا يلين « أشيل » لكل ذلك ولا تهتز له قناة ، ولكنه يرق لدموع صديقه الاثير « باتروكلوس » ، فيأذن له في اتخاذ عدته الحربية وحمل دروعه ، حتى إذا نزل الميدان حسبة الطرواديون « اشيل » ذاته ، فيتفرق شملهم ، ويصبحوا اشتاتاً بدداً .

وقاد « باتروكلوس » رجال « اشيل » وهب إلى المعركة مندفعاً اندفاع السيل الهائج يريد ان يكتسح ما أمامه من حواجز وعقبات ، وما كاد يفعل حتى تشتت شمل الطرواديين ، فهذا هو « اشيل » بطل الأبطال الذي لايثنيه عن عزمه قوة ، ولا يمنعه مما اراد مانع ، ولا حيلة لهم مع اقدامه ، ولا منجاة لهم الا في الفرار .

ولم يقف أمام « باتروكلوس » المتدرع بدروع « اشيل » غير البطل الطروادي « ساربيدون » ذو القلب الحديد ، والجنان الثابت ، وقد ظل يجمع قومه حوله ، حتى إذا اصبح لهم شيء من التماسك يذود عنهم عار الفرار الذميم ، حارب محاربة الأبطال إلى ان لقي مصرعه بضربه قوية من رمح «باتروكلوس» الذي اطمعه النصر في تسلق اسوار طروادة ، ولم يحل بينه وبين ذاك الا ضربة قوية لم يدر مأتاها قضت عليه ، وأطارت خوذة « أشيل » من فوق رأسه ، وأطاحت بحربته ودرعه فهما ملقتان على الأرض تنبئان عن حقيقة ما كان مخبوءاً متوارياً . ولم يبق بعد ذلك أمام « اشيل » الا أن ينهض إلى القتال يأخذ بثأر صديقه الحميم « باتروكلوس » وأعدت له دروعه ورماحه وسيوفه ، وسرت في صفوف الطرواديين همهمة تقول : ان السفاك الكبير قد نزل ساحة القتال ، فطارت الباب ، وزايلت الشجاعة ابطالاً صناديد ، ولم تلبث مياه نهر « سكامندر » ان خالطها لون النجيع القاني الذي سال غزيراً من أجسام الطرواديين

وما كان « هكتور » اشجع من بقي من الطرواديين بقادر على الصمود طويلاً أمام « أشيل » ، فما هي الا هنيهة حتى خرّ قتيلاً أمام ضربة من ضرباته ، واحتفل الاغريقيون بهذا النصر المعقود لهم لواؤه أياماً عديدة ، وما كادوا يطمئنون إلى نصرهم حتى انطلق رمح على حين غرة من يد « باريس » ليصرع « أشيل » ، وانطلق رمح طائش فاصاب من « باريس » مقتلاً ولم يبق أمامهم غير الرحيل ، فلا غالب ولا مغلوب ، وقد قتل « اشيل » كما قتل « باريس » و « هكتور » ، وحصون طرواده لا زالت منيعة قوية ، و « هيلين » الجميلة الفاتنة في حوزة الطرواديين .

وتوارى الاغريقيون عن الأنظار ، ووقع في ظن الطرواديين انهم قد عادوا ادراجهم بعد ان لم يقدروا عليهم ، وتطلعوا من حولهم فرأوا حصاناً خشبياً عظيم الحجم قد تركه أهل « اسبرطة » مع ما تركوه ، فجره الطرواديون إلى داخل حصونهم تذكاراً لردهم الاغريقيين على اعقابهم لم ينالوا منهم شيئاً ، ولم يقدروا على اقتحام اسوار مدينتهم الحصينة التي ذادوا عنها ، واستماتوا دون اقتحامها .

وما كاد الحصان يستقر داخل المدينة حتى انطلق من جوفه أبطال مغاوير يفتحون الحصون لينفدع الاغريقيون اليها .

وهكذا انتصر الاغريقيون بالحيلة والذكاء ، بعد أن أعياهم الانتصار بالقوة والمصاولة والمجالدة وعادت « هيلين » إلى « اسبرطة » وقد مسح بنوها عن أنفسهم الذل والعار بعد حرب دامت عشر سنوات ، سجلها التاريخ ، ورددتها الأساطير مدى قرون وقرون من الزمان ■

عزت محمد ابراهيم –القاهرة



اخبار الكتب

* ما زالت المكتبة العربية تحتاج الى تغذيتها بالمعاجم المتخصصة التي تتناول المصطلحات المختلفة للعلوم والفنون والتي لا غنى عنها للطلاب والباحثين . وأحدث معجمين صدرا هما « معجم مصطلحات الهندسة الكهربائية » وهو حلقة جديدة في سلسلة المعاجم التكنولوجية التخصصية باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والألمانية ، وقد صنفه المهندس الأستاذ أحمد مختار شافعي ، وقدمه ، وراجعه المهندس الدكتور محمد فهيم صقر ، وأشرف عليه وحرره المهندس الدكتور أنور محمود عبد الواحد ، ونشر مشاركة بين دار الأهرام ودار النشر في لايبزغ بألمانيا . أما المعجم الثاني فهو « قاموس علم النفس » المصور وهو باللغتين الانكليزية والعربية وقد صنفه الدكتور حامد عبد السلام زهران ونشرته دار الشعب .

* ومن كتب المراجع التي صدرت أخيراً كتاب « مراجع الكتب والمكتبات في العراق » وهو من تصنيف البحاثة الأستاذ كوركيس عواد ونشر وزارة الاعلام العراقية .

* خلف الأديب المصري الأستاذ رضوان ابراهيم الذي توفي في شهر ديسمبر ١٩٧٥ مجموعة من الكتب غير المنشورة التي يتنادى لاخراجها أصفياؤه من الأدباء . ومن هذه الكتب دراسات في النقد الأدبي ، وتحليلات للشخصيات الأدبية المعاصرة ، وترجمات عن آراء الكتاب الروس في الأدب العربي المعاصر ، وخطرات في الأدب والاجتماع ، وذكريات شخصية عن الحياة الأدبية في البلاد العربية .

* ديوان « هدية الحجاز » الذي نظمه الشاعر الباكستاني الكبير محمد اقبال في رباعيات باللغة الفارسية نقله الدكتور حسين مجيب المصري الى اللغة العربية شعراً ، وقدم له بدراسة مسهبة وشرحه شرحاً مستفيضاً تفسيراً لمعانيه ومراميه . وقد نشرت هذا الكتاب مكتبة الانجلو المصرية .

* ومن دواوين الشعر الجديدة ديوان « الانحدار من كهف الرقيم » للشاعر محمد ابراهيم لافي ، ونشر المطبعة التعاونية في عمان ، و « ديوان الأغاني الغجرية » للشاعر حميد سعيد ، و « الخوف من المطر » للأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم طبعة القاهرة .

* في الأدب الروائي بفنونه المختلفة أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب الآثار الجديدة الآتية : « رصيد الحياة » رواية للأستاذ فوميل لبيب ، و « الطوق والاسورة » رواية للأستاذ يحيى الطاهر عبد الله ، و « أرضنا الطيبة » رواية للأستاذ محمد فوزي الوكيل ، و « الرمال الذهبية » أقاصيص للأستاذ أحمد نجيب ، و « شاهد عيان » للأستاذ زهير البيومي ، و « في الأسبوع سبعة أيام » أقاصيص للأستاذ يوسف القعيدر ، و « ذو اليد الحديدية فاوست » ليوهان جوته ، وترجمة الدكتور مصطفى ماهر ، و « الطبق » مسرحية للأستاذ سعد الدين محمود جعفر ، والجزء الأول من كتاب « مسرح رشاد رشدي » ويتضمن مسرحيتي « الفراشة » و « لعبة الحب » .

* وصدرت عن دور النشر الأخرى الكتب التالية : « عابرو سبيل » أقاصيص للأستاذ فاروق منيب ونشر دار الهلال ، و « قاع البئر » أقاصيص للأستاذ عاصم الجندي ونشر الأهلية للنشر والتوزيع ، و « العنف في الدماغ » أقاصيص للأستاذ أحمد المديني ونشر دار النشر المغربية ، و « المهرجان » رواية لآرنست هيمنجواي وترجمة الأستاذ عبد الحميد سليم ونشر مجلة « الجديد » ، و « أولا وآخراً وبين بين » أقاصيص للأستاذ فؤاد كنعان ، و « الانفجار » أقاصيص للأستاذ انعام الجندي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « بقايا صور » رواية للأستاذ حنا مينة بمقدمة للدكتور نجاح العطار ، و « القطار الليلي » أقاصيص للأستاذ خالد حبيب الراوي ونشر مكتبة التحرير ببغداد ، و « عندما تضحك المدينة وتبكي » أقاصيص للأستاذ عادل العامل ونشر نقابة المعلمين العراقية .

* ترجم الأستاذ محمد علي ناصف الكتاب الكبير الذي وضعه « ألفين توفلر » رئيس التحرير المساعد لمجلة « فورتشين » الأمريكية بعنوان « صدمة المستقبل : المتغيرات في عالم الغد » وقد تناول فيه المؤلف الآثار المتوقعة للتقدم العلمي والحضاري الحديث على الانسان والمجتمع والتربية والحياة العملية وأوضاع العالم . وقد قدم للكتاب الدكتور أحمد كمال أبو المجد ونشرته دار نهضة مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلن .

* من الدراسات الأدبية الجديدة التي صدرت أخيراً « معالم جديدة في أدبنا المعاصر » للأستاذ فاضل ثامر ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و « العرب وفن المسرح » للأستاذ أحمد شمس الدين الحجاجي ونشر الهيئة المصرية ، و « ممارسات في النقد الأدبي » للأديبة يمنى العيد ونشر دار الفارابي .

* أصدر الدكتور أحمد مطلوب ، الأستاذ بجامعة الكويت ، كتاباً عنوانه « دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات » عالج فيه مشكلة استخدام اللغات الأجنبية في الجامعات العربية وطالب بضرورة التوسع في صوغ المصطلحات العلمية باللغة العربية كخطوة أساسية لتعريب التعليم الجامعي بأسره .

* « نازك الملائكة : الموجة القلقة » دراسة في شخصية الشاعرة العراقية نازك الملائكة وشعرها وأدبها ، وضعها الأستاذ ماجد أحمد السامرائي ونشرتها وزارة الاعلام العراقية .

* أصدر الأستاذ محمود فهمي كتاباً جديداً عنوانه « المدير : نظرات في تطبيق علوم الادارة الحديثة في الأعمال » ، وقد نشرته مكتبة عالم الكتب .

* كتاب عن « المجتمع العربي » صدر للدكتور هشام شرابي .

* صدر كتاب جديد عن « التربية الاستقصائية » للدكتور أحمد علي فنيش عن الدار العربية للكتاب .

* دراسة عن « مستقبل السكك الحديدية في العصر الألكتروني » صدرت للمهندس الأستاذ محمود عبد الوهاب عبد المنعم ونشرتها الهيئة المصرية .

* أحدث كتب الأستاذ الراحل صالح جودت عنوانه « أساطير وحواديث » وفيه طرائف أدبية من بلاد العالم المختلفة ، بعضها من مطالعات الكاتب ، وبعضها من مشاهداته واختباراته . وقد نشرت الكتاب دار الهلال .

* ترجم الدكتور فتحي محمد عبد التواب كتاباً عن « مشكلة الغذاء العالمي » من تأليف تيجل هاي وآخرين ونشرته الهيئة المصرية ■

العِنَايَة بالخَدِيْج

بقلم: الدكتور محمد شهاب أحمد



ممرضة تدخل مجساً في الشريان الأورطي بهدف تتبع التطورات التي تطرأ على صحة الخديج .

اعتبر

اعتبر خبراء منظمة الصحة العالمية أن كل مولود يزن ٢٥٠٠ غرام او أقل عند الولادة هو « مولود صغير الوزن » ، وان الخديج — Premature » هو من يولد قبل الاسبوع السابع والثلاثين ويزن ٢٥٠٠ غرام أو أقل ، هذا على اعتبار ان الحمل التام هو اربعون اسبوعاً . وان كل من يولد قبل الأسبوع الثامن والعشرين فهو غير قابل للحياة « Not Viable » وتبلغ نسبة الخداج بين المواليد حوالي ٧ — ١٠ في المائة وهذه النسبة ترتفع وتنخفض تبعاً للظروف الاجتماعية ، وللمستوى الطبي والاقتصادي في أي بلد ما .

وقد أعطي الخديج اهتماماً خاصاً نظراً لارتفاع نسبة الوفيات بين أفراده ، وقد تصل هذه النسبة أحياناً إلى ٩٥ في المائة عندما يكون وزن الخديج كيلوغراماً واحداً او أقل . وقد اهتمت الأوساط الطبية والباحثون في البلاد المتقدمة بهذا الأمر نظراً لارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال الذين يولدون قبل الأوان . وفي جامعة « جونس هوبكز » عاش خديج وزنه ٦٨٠ غراماً ومع ذلك كان نموه العقلي والحسي سليمين في عامه الرابع .

أسباب الخداج

لم تعرف بعد الأسباب المباشرة للخداج ولكن هناك عوامل كثيرة تؤدي اليه أهمها سوء التغذية عند الحوامل . ويستدل الباحثون على صحة هذا الرأي بدراسات كثيرة منها ان نسبة الخداج بين المواليد في مدينة لينينغراد بلغت ٤٩ في المائة خلال فترة الحصار في عام ١٩٤٢ ، ومنها ان نسبة الخداج في مواليد الطبقة الراقية في أوروبا لا تتجاوز ٥—٧ في المائة بينما تصل هذه النسبة إلى ١٥ في المائة بين مواليد الطبقة الفقيرة ، ومنها أيضاً أن نسبة الخداج تصل إلى ٣٦ في المائة في بومباي .

ومن العوامل الأخرى المؤدية إلى الخداج ما يتعلق بعمر الحامل ، وحالتها الصحية . فاذا كانت المرأة الحامل دون سن السادسة عشرة أو فوق الخامسة والثلاثين ، أو إذا كانت تعاني من مرض في القلب ، أو التهاب في القناة البولية ، فان نسبة الخداج في تينك الحالتين قد ترتفع . كما وجد الباحثون ان هناك عوامل كثيرة قد تؤدي إلى نقص في وزن المولود منها ما يتعلق بالتدخين ، ومنها ما يتعلق بالخلاصة — Placenta » ومنها ما يتعلق بالجنين ذاته ، كأن يكون مصاباً بمرض قلبي أو خلل في الكروموسومات .

مشاكل الخداج

لا يقتصر اختلاف الخديج عن المولود الطبيعي على الوزن فقط ، بل يتعداه إلى اختلافات كثيرة في وظائف الأعضاء ونموها ، وكمية الانزيمات — « Enzymes » في الجسم ، ومكونات المناعة . وهذه الاختلافات هي التي تسهم في خلق المشاكل الصحية عند الخديج . فرئة الخديج مثلاً تكون غير كاملة النمو وهذا ما يجعله عرضة للاصابة بمرض تناذر ضيق التنفس الذي يعتبر أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الخديج ، وكذلك الكبد ، فالخديج معرض للاصابة باليرقان — « Jaundice » أكثر من الوليد الطبيعي ، وذلك لعدم نمو « الانزايم » اللازم لتحويل الصفراء في كبده ليخرجها عن طريق التبول . وقد تنبه العلماء في أوائل الخمسينات إلى أن عين الخديج لا تكون كاملة النمو أيضاً ، وان الاوكسجين وهو العنصر الأساسي في الحياة ، قد يسبب العمى للخديج إذا ما استعمل بنسبة كبيرة .

ومن الأسباب الرئيسية الأخرى لوفاة الخديج ، قابليته للاصابة بنزيف في الدماغ وخاصة إذا كان وزنه لا يتعدى كيلوغراماً واحداً ، وكذلك قابليته للعدوى الجرثومية نتيجة لنقص مكونات المناعة لديه . فالنزلة الصدريه — Pneumonia والتهاب السحايا — Meningitis » وتعفن الدم — Sapsis » ما هي الا أمثلة على ذلك .

العناية بالخديج

يتولى العناية بالخديج في البلاد المتقدمة اطباء مختصون بالمواليد — Neonatologists » وممرضات من ذوات الخبرة الفائقة بهذا المضمار ، وتقوم مثل هذه العناية على اسس ثلاثة :

* يوضع الخديج بعد الولادة مباشرة في عازلة — Isolette » او حاضنة — « Incubator » تتوفر فيها الحرارة والرطوبة والأوكسجين . وتعتبر الحرارة من أهم المتطلبات نظراً لأن الخديج لا يستطيع الابقاء على حرارة ثابتة لنقص الطبقة الدهنية عنده ولعدم تكامل نمو دماغه . وهناك اجهزة كثيرة تستخدم لهذا الغرض وذلك عن طريق سلك رفيع يلتصق بجسم الخديج فيدير الجهاز اوتوماتيكياً عند انخفاض حرارة الخديج . وأما الأوكسجين فهو سيف ذو حدين : فاذا اعطي الخديج حاجته من الأوكسجين (وهذا لا يعرف الا بفحص الاوكسجين في الدم) فهو عنصر

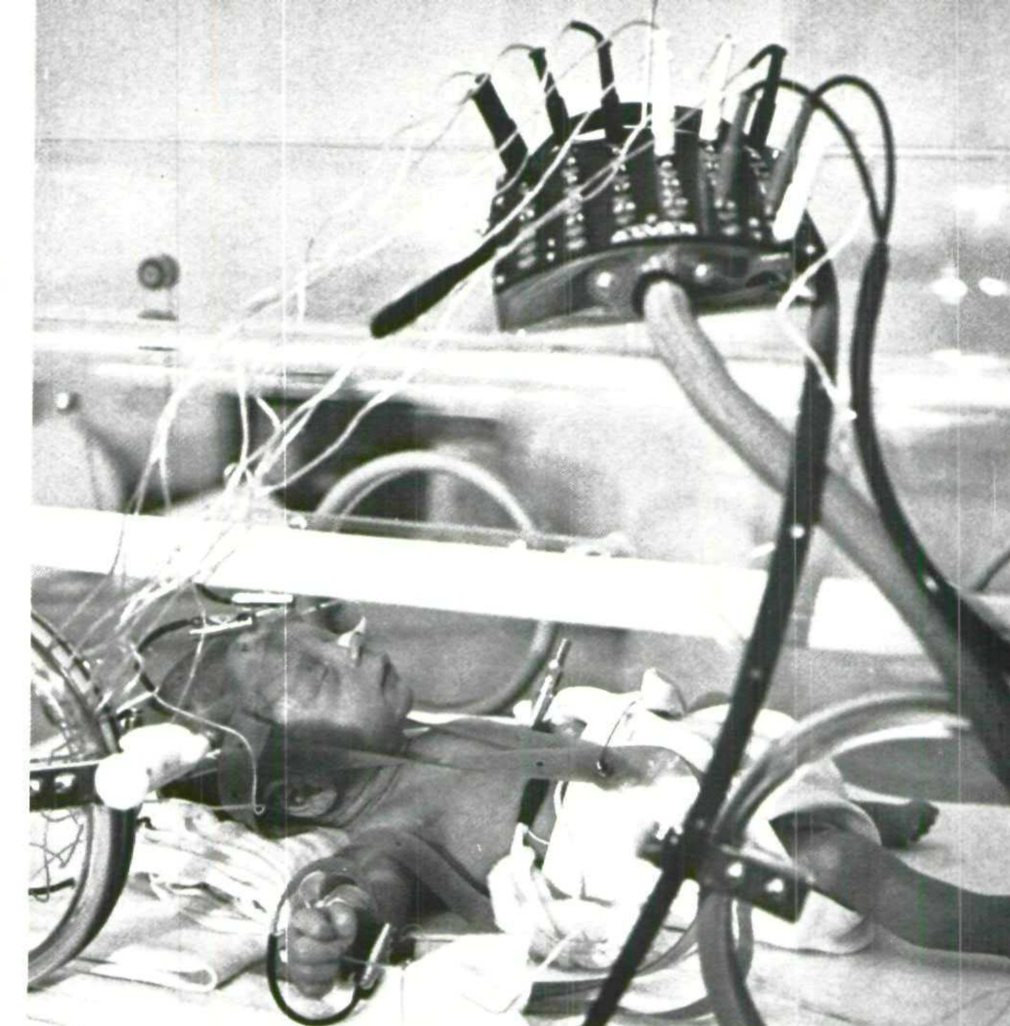


يستخدم الأطباء جهاز ضغط خاصاً لتوفير التهوية الملائمة في الحاضنة .

اساسي للحياة ، أو أكثر من حاجته فان الأوعية الدموية الشعرية الواقعة خلف عدسة العين ، قد تتليف فتسبب بذلك العمى الدائم . وأما الرطوبة فهي غير أساسية ووجودها يساعد فقط على حفظ درجة الحرارة في العازلة أو الحاضنة . ووضع الخديج في العازلة يساعد على رؤيته من كل الجهات وملاحظة التغيرات التي قد تطرأ عليه .

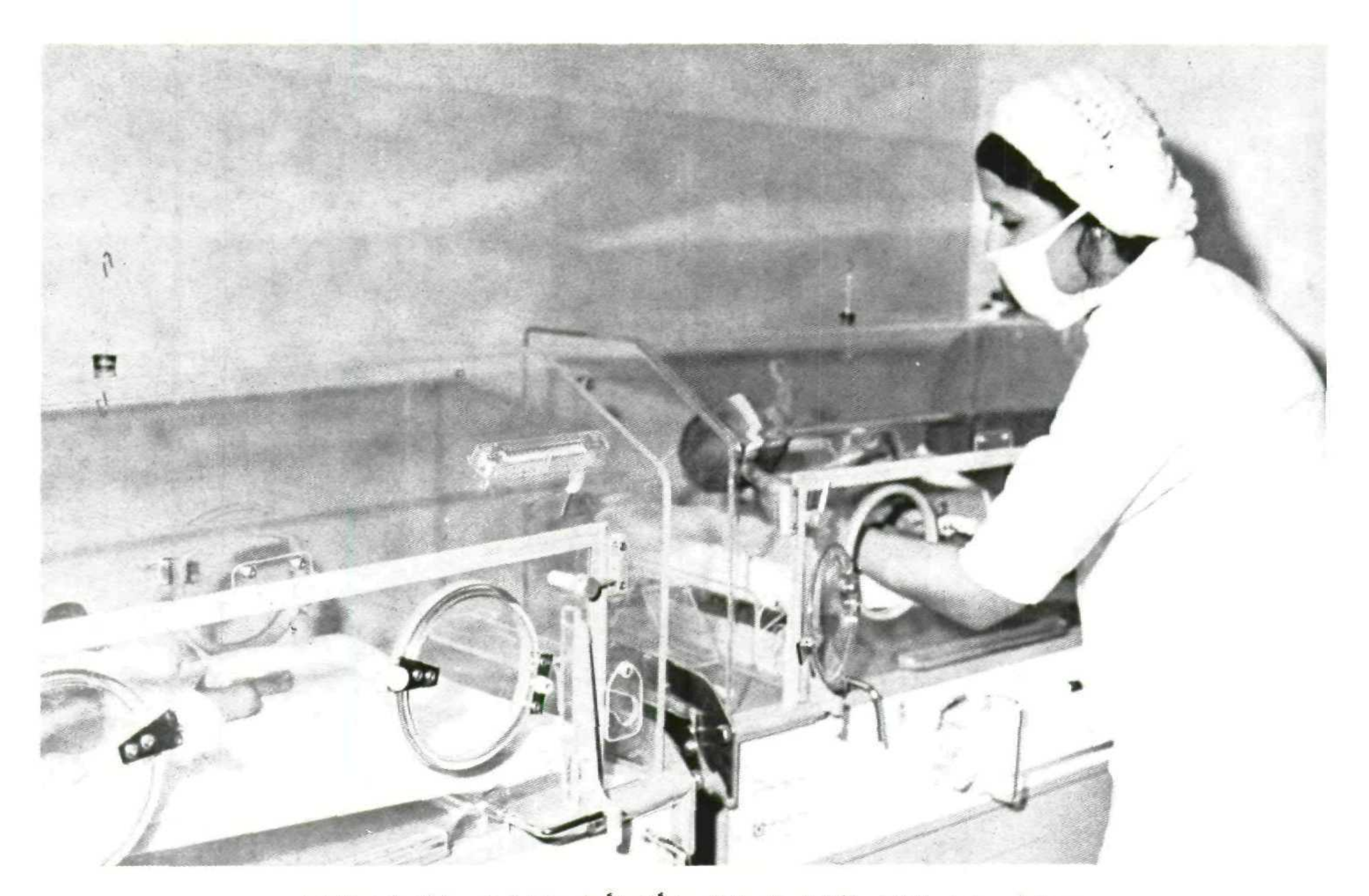
◦ يحتاج الخديج إلى الغذاء منذ الساعات الأولى من حياته . ويتم ذلك بواسطه انبوب من الأنف إلى المعدة حينما لا يقوى الخديج على الرضاعة . وعن طريق هذا الأنبوب يعطى الخديج كميات قليلة من الحليب حيث يجري زيادتها تدريجياً .

وفي مركز الظهران الصحي قام فريق من أطباء قسم الأطفال على رأسهم الدكتور « جيمس راي » بتجربة مدّ انبوب مطاطي من الأنف إلى الاثني عشري ، يحمل في نهايته كبسولة من الذهب لتنقل طرف الأنبوب إلى الاثني عشري . وقد استفاد من هذه التجربة أكثر من ٥٠٠ مريض في مستشفى الظهران وممن تتراوح اعمارهم بين الخديج والمتقدمين في السن .



يساعد هذا الجهاز الخاص بتخطيط الدماغ على معرفة ما اذا كان هناك أي خلل في دماغ الخديج .

يتلقى طلبة الطب محاضرات ودروساً عن الخديج بواسطة التلفاز ذي الدائرة المقفلة .



ممرضة في مستشفى الولادة والأطفال بالمدينة المنورة أثناء تأدية عملها في قسم الحاضنات بالمستشفى .

وتقوم حالياً عدة مراكز طبية في الولايات المتحدة بتطبيق هذه التجربة . وتشير الدلائل الأولية إلى أنها ستكون ذات فائدة عظيمة بالنسبة لغذاء الخديج لأنه يخفف من انبجاس الطعام من المعدة إلى الرئتين .

• يراقب الخديج مراقبة دائمة وذلك لمعالجة المشاكل التي يمكن أن تطرأ على صحته كتناذر ضيق التنفس ، والعدوى الجرثومية والنزيف ، وهذه هي الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى وفاة الخديج .

ففي حالة حدوث تناذر ضيق التنفس ، يعطى الخديج كمية من الأوكسجين ، فاذا لم يطرأ أي تحسن عليه يدفع الهواء المخلوط بالأوكسجين إلى الرئتين أثناء الشهيق بواسطة جهاز خاص ويتخذ الأطباء نسبة الأوكسجين O_2 ، وثاني أكسيد الكربون CO_2 ، وكثافة الهيدروجين الايونية PH في الدم كمؤشرات لاختيار الطريقة المناسبة لعلاج حالة ضيق التنفس الآنفة الذكر .

أما في حالة العدوى الجرثومية فان الخديج يحقن بالمضادات الحيوية حسب نوع الجرثومة .

أما بالنسبة للنزيف فيمكن تفاديه باعطاء الخديج حقنة من فيتامين K ، وكمية من الدم .

وهنالك حالات كثيرة يصاب الخديج خلالها باليرقان ، وهذا المرض يعالج اما بالضوء Phototherapy أو بتغيير الدم Exchange Transfusion إذا ما كانت نسبة الصفراء في الدم عالية .

الوقاية من الخداج

تكمن الوقاية من الخداج في تلافي الأسباب والعوامل التي قد تؤدي اليه . ومن أهم هذه الأسباب الجهل والفقر اللذان يترتب عليهما سوء التغذية ، وللتغلب على ذلك فلا بد من توفير الرعاية التامة عن طريق تأمين المستوصفات والمراكز الطبية المؤهلة للعناية بالأمومة والطفولة . ومن ناحية أخرى ينبغي على المرأة الحامل أن تتناول غذاء كافياً بالاضافة إلى تعاطي عنصر الحديد والفيتامينات ، كما أن عليها أيضاً مراجعة الطبيب بين الحين والحين لاجراء الفحوص اللازمة خلال فترة الحمل وعلى الأخص اللواتي يتعرضن لحالات الوضع المبكر ، واللواتي تقل أعمارهن عن السادسة عشرة أو تتجاوز الخامسة والثلاثين ، وكذلك اللواتي يعانين من أمراض القلب أو السكري ، او التهاب القناة البولية ، وأيضاً تلك المرأة الحامل التي سبق لها ان وضعت خديجاً .

وهناك دراسات جديدة تثني على مشتقات الكورتيزون لمنع اصابة الخديج بمرض تناذر ضيق التنفس وذلك عن طريق حقن المرأة الحامل المهددة بخطر وضع الخديج بمادة الـ Betame-thasone قبل ٤٨ ساعة من الوضع اذ ان هذه المادة قد تساعد على نمو رئتي الخديج .

وفي البلاد المتقدمة طبياً تجرى دراسة على بعض مكونات السائل الأميوني — Omniotic Fluid مباشرة قبل الولادة او اثناءها وذلك لمعرفة مدى معدل نمو الرئتين لدى الخديج أو احتمال اصابته بمرض تناذر ضيق التنفس ، ويعمل على ترتيب نقل الخديج من مكان ولادته إلى مركز طبي مختص بالعناية بالخديج بناء على نتائج هذه الدراسات ■

د. محمد شهاب أحمد — الظهران

خصام

للشاعر: فضل العماري

أخاصمُ هَذي النفسَ فيمن أخاصم ... وأزجُر هذا القلبَ والقلبُ حاكم

أمني شبابي بالحياةِ وإنّما ... مواعيدُ عُرقوبٍ جناهُنّ نادم

وأحسَبُ ساعاتِ المسرةِ باكراً ... فتَأتي ليالي الهَمّ حوْلا تُزاحم

تشتّت رأيي في الحياة وأهلها ... فأصبَحتُ لا أدْري علامَ التأزّم

أفي الحقّ أن نحْيا على هامش الرّؤى ... كسيري جناحٍ تستبينا الحَمائم ؟

نسيرُ ولا ندري أتجْتَمِعُ الخُطَى ... أم الدّربُ قفرٌ ليس فيه مغانم

ونمْضي فلا النجماتُ تهدي ركابنا ... ولا البحر يَخْفَى موجه المتلاطم

ويذْبلُ زهرُ الرّوضِ والطيرُ حائمٌ ... ويسقطُ عشٌ إذْ تثورُ براعِم

ويُسْكَبُ دمعٌ في ليالٍ طويلة ... ويضحَكُ ثغرٌ حين يطْويه لاثِم

وتقتنصُ اللّذاتُ في كلّ ساعة ... ويسْهَرُ صبّ تحتَضنه مآثم

أليْس بهذي الدارِ للنّفسِ راحةٌ ... فتبرأ آلامٌ ويهنأ نائم ؟

أكلُ مساعينا تصيرُ سحابةً ... إذا هبّ إعصارٌ وجاءتْ غمائم ؟

أكُلّ عَذارانا تبيتُ نوائحاً ... إذا هاجَ ليلٌ او تعنّتَ ظالم ؟

عجبْتُ لأمسي كيف كان صباحُه ... وكيف مضَى يومي وما أنا عالم

حسبْتُ سنيني كلّها فوجَدْتُها ... بها الأنسُ نزرٌ مثلما مر حائم

وان نداماي القَريبين قِلّةٌ ... وأن فراشي حولهُ البُؤسُ جاثِم

فأدْركتُ أنّ النّجمَ ما عاش لامعاً ... وفيه ضنى أوْ في الفؤادِ مآثم

وأخْبِرْتُ أنّ الزهْر في الشوكِ ضائعٌ ... وإن كان بين الشوْكِ تجْري النّسائم

فأقْسمْتُ أن أسْعى بغير شكايةٍ ... وأن لا أبالي كيف تَفْنى العَزائم

وأن أطرَحَ الآلام حين تُثيرُني ... وأن أجْري الآمال والفجرُ باسم

فما دارُنا هذي سوى درب سائرٍ ... سيعْبرُ فيه كلّ منْ هو قادم

فضل العماري – الدمام



جهاز الكتروني حاسب يسجل باستمرار عملية التنفس ودرجة الحرارة

احدى القاعات التي شغلها مهرجان العالم الاسلامي في لندن .

تصوير : بيتر كين





